17 eme Année No. 853

Lundi — 7 — 11 — 1949

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٥٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ من شهر محرم سنة ١٣٦٩ — ٧ نوفمبر سنة ١٩٤٩ السنة السابعة عشرة »

تحية القـــائد المغربى (*)

الأمير عبد الكريم الخطابى

للأســـتاذ أحمد رمزى بك

وقد نجمت تلك الخطوب قناته ... فـزاد على نجم الخطوب اعتدالها

وما كان محروماً من النصرفى الوغى ... ولـكنها الحرب اعتدت وسجالها

ولو شـاء إذ ترك المشيئة سودد ... لأشـوته يوم الهندوان نبـالها

غـداة يجاريه التقدم فى الوغى ... أبو غالب والخيـل تترى رعالها

كأنهمـا من نصرة وترافـد ... يمينـك أعطتها الوفاء شمالها

(البحترى)

بين مدينتى تور وبواتييه[1] حيث المروج الخضراء وفى قلب فرنسا شن الغرب علينا هجومه المضاد سنة ٧٣٢ هجرية ، ومنذ ألف ومائتين وخمسين سنة ، والقتـال دائم بيننا ، لا هوادة فيه ولا حماية ولا تسليم ولا رحمة ...

ولـكنك يوم دخلت مصر آمناً مطمئناً ، وعبرت مجمع البحرين[2] : هـلّلت العروبة فى أفريقيا وآسيا لمقدمك ، وقالت اليوم انتهى هجوم شارل مارتل ، وانتقلت أمم المغرب والمشرق من خطط المدافعة إلى الهجوم ، نعم فى الساعة التى نزلت فيها إلى أرض مصر العربية فى تلك اللحظة أيها المجاهد المقاتل ، تراجعت القرون وانحنت أمام إرادة صامتة وقوة لا تقهر ، وبدأنا مرحلة جديدة من الـكفاح فى سبيل تحرير المغرب ونصرته وعودته إلى حظيرة الوطن الأكبر . فإذ كرذلك اليوم . لأن وراءنا الأزمات تتحدث والنكبات تتوالى ، وملاحقة الشعوب الحرة فى عقر ديارها فى الجزائر وتونس وطرابلس ومصر ، لقد انتهى كل هذا بمقدمك ، وبدأنا صراعاً آخر نحو الحرية والمجد ، لا تراجع فيه ولا يأس وإنما هو دفعة تتبعها وثبة ، ووثبة لا يقف أمامها فى المعترك حائل . لقـد نظرت إلى الشاطىء الأفريقى وقلت من ضفاف قناة السويس من هنا يبدأ يوم الفصل : نعم يبدأ [1] هجومنا نحن ، هجوم البطولة والجهاد تحت أعلام الحرية والعروبة والإسلام .

ويوم دخلت القاهرة ، قاهرة المعز لدين الله ، بلد صلاح الدين وبيبرس ، ضحكت واستبشرت ، وأتتك الجموع تترى إليك ، أتدرى لماذا أيها القائد المظيم ؟

لأنها رأت فى وجهك بقية من عبد الرحمن الناصر والمنصور ويوسف بن تاشفين وتطلعت لجبينك فتعرفت على وجوه المرابطين والموحدين ، وسرت بيننا فإذا بكل منا يحس بنفحة من نفحات

(*) كتبت يوم مقدمه ولم تنشر .

(١) مدينتان أوقف عندهما زحف العرب فى فرنسا .

(٢) أقصد قناة السويس .

(١) يتصور الـكاتب أن المعركة منذ ارتد العرب لا تزال قائمة وإن مراحل التراجع دامت قرونا حتى نزل الأمير عبد الـكريم فانتقل العرب من موقف الدفاع إلى الهجوم مرة أخرى .

الأندلس وأرض الجزيرة الخضراء تغمر نفسه ، وخرجت إلينا فإذا بنا نتصور على جنبيك سيوف المجاهدين والركم السجود من أهل المغرب فكأنك واقف ومئات السنين تنحنى أمام قوتك ونظراتك ، وكأنك تمثل شهداء معاركنا الخالدة فى ألف سنة مضت

عجبا أكلما مددت اليد إليك تمثلتك قائداً فى رداء الماضى ؟ رأيتك فى رداء أهل المغرب الذين انتصروا فى يوم الجمعة لثانى عشر خلت من رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، رأيت أعلام النصر فى الزلاقة[1] وكأنها ترفرف على رأسك : يوم صلى قائدنا ابن تاشفين صلاة الصبح فى ذلك السهل الذى شهد آيات البطولة والقوة والبطش فى قلب أسبانيا .

ورأيتك يوماً فى لباس الموحدين من أهل المغرب ، وهم الذين أسسوا الملك وقادوا الجحافل ودانت لهم الدنيا ، مررتَ أمام ناظرى وكأن الأعلام التى طويت يوم تور وبواتييه ، قد اخترقت ما وراء عالم الغيب والشهادة ، فإذا بها تنشر من جديد وعلى رأسك ترفع ، وكأن أصوات التكبير والتهليل التى ملأت جبال البرانس وصاحبت المسلمين فى معاركهم وملاحمهم بالأندلس ، قد تجمعت بقدرة القادر جل وعلا ، وعاد صداها يرن فى أذنى ويميد على أرض مصر ذكرى تلك الأيام الخالدة .

لقد أمضينا بأرض الأندلس ثمانية قرون من الزمن ، كانت الحرب سجالا والدنيا قائمة علينا ، تلك عوائدها فهل عرفناها يوماً من الأيام على غير عادتها ، لا لم نعرف للراحة ولا للاطمئنان طعماً ، بل عشناها قروناً والسهام على الأقواس مسددة ، والدماء جارية ، والصدور تتاق الطعنات ، والنصال تتكسر على النصال .

وتمثلتك يوماً فى موقف عبد القادر وهو يدفع المغتصب عن أرض الجزائر ، فقمت أحيى بطولته فى شخصك ، وأتمنى لو كنت جندياً أتاقى الأوامر منه .

وأعرض صدرى لرصاص الخصم العاتى ، فى سبيل هذا الركن الخالد من أرض العروبة ، تُرى أكنت تدعونى لحمل السلاح كجندى من جنود المغرب ، فانضم لصفوف كتائبك على بطاح الريف ؟

إذن لوقفت على ربوة عالية أتحدى الأخطار والمهالك والحياة والموت ، لأحيى فيك البطل المظيم والقائد المنتصر رغم أنف المستعمر ... ستذكر القاهرة يوم قدمت إليها وحللت ضيفاً معززاً مكرماً فيها ، كيوم من أيامها التى لا تنساها .

والقاهرة لا تنسى من أحبها ، لأن العواطف المتدفقة فى قلوب أهلها ثابتة راسخة منذ أيام الفتح الإسلامى الأول ، منذ دخلها عمرو بن العاص . فهى حريصة على صداقتها ومعزتها ، بقدر ما هى قوية فى البأساء والضراء والشدائد ...

ولذلك سميت القاهرة : لأنها قهرت الحوادث والزمن ، وخرجت ظافرة من المعارك والمواقع الفاصلة ، منصورة فى المنصورة وحطين وعين جالوت ... ولذا تعرفت من أول يوم عليك ، وقرأت نفحاتها وروحها من تسمة على جبينك وأصبح سكانها أهلك وعشيرتك

فإذا خطرت ببالك سنوات الغربة فى جزائر المحيط ، تخفف عنك هذا ، وذكر الحصون أن أبناء القاهرة أسروا لهم ملكا يوم المنصورة . بالله سر فى قاهرة المعز ، وارفع ناظريك إلى قلعة الجبل ، وتأمل حجارتها : تحدثك أن اثنا عشر ألفاً من أسرى العدو فى المعارك والحروب التى انتصر فيها جند مصر الإسلامية ، قطعوا هذه الصخور ورفعوا هذه الحجارة . كانت مواكبهم تمر تحت بابى النصر والفتوح ، وأعلامهم منكسة وأيديهم فى السلاسل وأعناقهم فى الأغلال . أما أنت فقد جعلت لموطنك مراكش حديثاً له دوى فى القرن العشرين اهتزت له الدنيا ، فقد هزمت دولتين وحاربت على جبهتين ، وكنت موفقاً فى الهجوم والدفاع وبرهنت على أن قلوب أهل الريف أقوى وأثبت فى مقاعد القتال من قلوب أعداء الريف .

بل أشهدت العالم أجمع أنهم بحق سلالة المرابطين والموحدين وأبناء أولئك الذين كتب أجدادهم ملاحم الأندلس وأيامها .

أيها الأمير القائد !

من يحلق مثلك فوق شوامخ الجبال وقممها العالية تصغر الدنيا أمام عينيه فتتضاءل الصعاب ، ويبدو الجهاد أمراً سهلاً لأنك بطل من أبطال العروبة والإسلام ونفحة من نفحات بدر .

أحمد رمزي

(١) معركة مشهورة انتصر فيها المسلمون بالأندلس .

أزواج وزوجات

للكاتب الانجليزي يوسف أدبسود
للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندي

أخبرني صديقي ويل هوني كومب منذ أكثر من نصف سنة أن في نيته أن يجرب الكتابة في جريدة السبكتاتور، وأنه يرغب أن تكون كتابته عن طريقي إلى القراء. وفي هذا الصباح تسلمت منه الرسالة التالية. وبعد أن صححت بعض الأخطاء الإملائية فيها، أقدمها إلى القراء.

عزيزي محرر السبكتاتور:

قبل ليلتين كنت في جماعة لطيفة من شباب الجنسين، وكنا نتحدث عن بعض مقالاتك التي كتبتها في موضوع الحب الزوجي، فنشب بيننا نزاع حاد حول عدم وفاء الأزواج في الحياة بالنسبة إلى الزوجات، وقد انبرى أحد المدافعين عن المرأة وقص علينا قصة حصار مشهور في ألمانيا، وقد وجدت إنني ذكرتها في معجمي التاريخي كما يلي:

عندما حاصر الامبراطور كونراد الثالث جولفيوس، دوق بافاريا في مدينة هنسبورغ، واتضح للسيدات أن المدينة لن تثبت طويلا، التمسن من الامبراطور أن يسمح لهن بالخروج منها حاملات ما يستطعن حمله. ولما كان الامبراطور واثقاً من أنهن لا يستطعن حمل كثير من الأشياء، فقد أجاز لهن ما التمسن. ودهش الامبراطور من رؤية النسوة وهن خارجات يحملن أزواجهن على أكتافهن! فتأثر من هذا المنظر حتى طفرت الدموع من عينيه، وبعد أن أشاد بحبهن الزوجي، وهب لهن أزواجهن وعفا عن الدوق.

ولكن السيدات لم يطربن لهذه القصة وسألننا في نفس الوقت، إن كنا نعتقد في قرارة أنفسنا أن رجال أية مدينة في بريطانيا العظمى، لو كانوا في نفس الأزمة، ومنحوا نفس المنحة، هل كانوا يحملون نساءهم أو كانوا يسرون من هذه الفرصة التي أتيحت لهم للتخلص منهن؟ وقد أجاب صاحبي توم وابروت الذي جعل من نفسه محاميا عن جنسنا قائلا: إنهم إن لم يفعلوا ما فعلت السيدات فسيستحقون أعنف اللوم مع اعتبار أنهم أقوى منهن وأحمالهم ستكون أخف كثيراً.

وبينما كنا نخوض في أحاديث من هذا النوع تسلية لنفوسنا وقتلا للوقت الذي أصبح مملاً قادنا الحديث، والحديث ذو شجون، إلى أن يتولى كل بدوره توجيه أسئلة يجب على الآخرين الإجابة عنها. ولما حان دوري أمرت كل السيدات حسب السلطة المخولة لي أن يخبرن الجماعة بصراحة تامة عن الشيء الذي يفعلنه لو أنهن كن في هذا الحصار المذكور وأجيز لهن ما أجيز لتلكم السيدات، فما الذي تأخذه كل منهن على اعتبار أنه جدير بالإنقاذ؟ وقد أجبن إجابات طريفة عن سؤالي أبهجتنا حتى وقت النوم. وقد ملأت هذه الإجابات رأسي بالأفكار المشوشة فحلمت بعد أن نمت الحلم التالي.

رأيت مدينة في هذه الجزيرة — ليس لها اسم — محاصرة من كل الجهات وقد أجبر ساكنوها وضويقوا حتى ضجوا يطلبون لهم ملجأ يحميهم. وقد رفض القائد أي حل سوى تلك المنحة التي ذكرناها في حكاية هنسبورغ أي أن كل سيدة لها الحق أن تخرج آخذة معها ما تراه يستحق الإنقاذ.

وعلى حين غرة فتح الباب فظهر صف طويل من السيدات تتبع إحداهن الأخرى يمايلن تحت أحمالهن. وقد أخذت مكاني على مرتفع في مخيم العدو في المكان الذي عينه القائد لمقابلة النسوة للنظر فيما يحملن. وكنت شديد الرغبة في رؤية هذه الأحمال.

كانت أولاهن تحمل كيساً على كتفيها، فقد جلست لفتحه بكل عناية، وبينما كنت أنتظر أن أرى زوجها خارجاً منه، وجدته مملوءاً بالأواني الصينية. وبدت الأخرى بقوامها تحمل شاباً جميلاً على ظهرها وقد أكبرت هذه الصبية لحبها زوجها، ولكن دهشتي كانت بالغة أقصاها عندما اتضح أنها تركت زوجها المسكين في البيت وحملت صاحبها. وأقبلت الثالثة من بعد بوجهها الجاف، فنظرت إلى حملها الذي لم أشك في أنه زوجها، ولكن بعد أن أزلته عن كتفيها سمعتها تناديه بعزيزي بك فإذا به كلبها المدلل، إذ يبدو أن زوجها كان في غاية الضخامة فرأت في جلب هذا الكيوبيد الصغير تجنباً لكثير من المزعجات. وكانت الثالثة زوجة رجل فاحش الغنى، وقد حملت معها حقيبة مملوءة بالذهب،

ثورة الطبيعة وثورة المجتمع

للدكتور محمد يحيى الهاشمي

كم من تشابه بين حوادث الطبيعة وحوادث المجتمع ! وهل المجتمع إلا جزء من عالم الطبيعة وخلية من الخليات المتعددة التي تشكل هـــذا العالم الكبير الواضح بمظاهره والخفي بأسراره ومميزاته ؟ وكما يسود التطور في نظام الطبيعة على اختلاف أشكالها وتباين أنواعها ، يسود في نظام المجتمع والهيئات البشرية هـذا القانون . هكذا نجد انتقالا وتصعداً في سلم الرقي خطوة فخطوة ودرجة فدرجة . أما الطريق في العالمين بعيد ، وليس من هدف ولا غاية ، وما المكان الذي نظنه نهاية المطاف ماهو في الحقيقة إلا مرحلة انتقالية إلى مرحلة أخرى . الطبيعـة تمشي والمجتمع يسير ، لا يعرفان الوقوف ولا السكون ولا الراحة ولا الاستقرار ، وما الاستقرار الظاهري إلا دور يؤدي إلى دور آخر ؛ فكل ما يقع عليه بصرنا أو تدركه بصيرتنا ، يسطو عليه دوما ناموس الجريان والتغير الدائم .

إن هذه التغيرات لبطيئة جداً تدق حتى عن فهم الذكي ، ولكن لدى النظرة العميقة وتتبع الحوادث الطويلة نجد كل ماعلى سطح الأرض تابعاً للتغير والتبدل ، فلا شيء يبقى على حاله الأصلي فالجبال التي يضرب بها المثل في الثبوت لا تبقى مكانها ، بل بتعاقب الأحقاب الطويلة تتزلزل وتصبح سهولا وترتفع السهول فتصير وهاداً فنجاداً فهضاباً إلى أن تكون جبالا شاهقة تتخللها الوديان السحيقة ، وكثيراً ماتجف بعض المناطق البحرية ، فتصبح براً والبر يتحول إلى بحر ، وهكذا فإن التبدلات الجزئية التي تظهر للناظر السطحي كشيء تافه لا قيمة له ، تكون بتعاقب ملايين السنين انقلاباً خطيراً يدهش الأنظار ، ويكاد لا يصدق الانسان ما كانت عليه بعض المرتفعات الشاهقة في الماضي لولا الحيوانات البحرية التي بادت وتركت معالمها بين طيات الأحجار .

قياسا على مابينا فإن الأمم تتغير وتتبدل ، وبتأثير الأفكار الهادئة الرزينة تنتقـل من طور إلى طور وذلك بتعاقب الأجيال

وأخبرتنا أن زوجهـا قد بلغ من العمر أرذله ، وبحسب قانون الطبيعة لن يعيش طويلاً ، ولتربه عظم حبها له أنقذت ما يحبه المسكين أكثر من حياته . وكانت الأخرى تحمل ابنها على ظهرها ، وقيل لنا إنه من أعظم الفجار الأشرار في المدينة ، ولكن على مثل هذا الحنان جبلت الأمهات الرقيقات ، فقد تركت خلفها أسرة عامرة بالأمل ومؤلفة من زوج وبنين وبنات لأجل هذا المخلوق الشرير .

ولو تركت لقلمي العنان أن يسجل ما رأيت في هـذا الحلم الغريب لما انتهيت من السرد والوصف ، فقد امتلأ المكان حولي بحزم مربوطـة وجرائر مشجرة ومطرزات وعشرة آلاف من مواد أخرى كافية لأن تملأ شارعاً بمخازن مملوءة بالدمى . وأقبلت إحدى السيدات تحمل زوجها الذي لم يكن ثقيلا وتحمل في الوقت نفسه علاوة على ذلك ربطة كبيرة من الأشرطة الحريرية الهولندية ، وعندما ضاقت بحملها وجـدت أنها لا تستطيع الاحتفاظ بكليهما أسقطت بعلها الصالح وحملت الأشرطة وتابعت سيرها . وبالاختصار لم أجد سوى زوج واحد مع هذه الأمتعة وكان إسكافياً نشيطاً . لقد كان يرفس ويهمز رجليه وهو محمول على أكتاف زوجته ، وقيل لي بعدئذ إن يوماً من أيام حياتها لم يمر دون أن يعاقبها بالضرب الشديد .

ولن أستطيع إتمام هذه الرسالة يا صديقي المحرر من غير أن أخبرك عن خاطر عجيب مر بي في رؤياي . فقد رأيت كأن خيل إلى عشرات النساء منهمكات في سحب رجـل واحد لم أتبينه أول وهلة حتى اقترب مني وبانت ملامحه فإذا به أنت . وقد صرحن أن ذلك لأجل انتاجك الأدبي ، وليس لشخصك ، على شرط أن تستمر في تحرير السبكتاتور . فإذا وجدت في هذا الحلم مايلائمك فهو تحت تصرفك يا عزيزي المحرر ، وأنا صديقك في النوم واليقظة

ويل هوني كومب

سيرى السيدات كما خبرتهن كثيراً ، أن (ويل) رجل من الطراز القديم في التهكم والمجون في المدينة ، وهو هنا يظهر مواهبه بالتهكم على الزواج كرجل جرب حظه مراراً عديدة في هذا المضمار وخاب . وعلى كل حال لم أستطع إهمال رسالته لأن القصة الحقيقية التي بني عليها رسالته مما يرفع رأس المرأة عالياً ، وأنه في سبيل إيذائهن قد جنح به المنطق إلى الرؤى والخيال .

(بغداد) **ماهرة النقشبندي**

والعصور ، ولولا مادونه لنا التاريخ فى قرون مضت ، أو بعض الآثار الباقية عن الأمم الخالية ، لما عرفنا ما كانت عليه الشعوب والحضارات الماضية .

نعم إن بعض الأمم قد تدنت عما كانت عليه من قبل ، كاليونان الذين كانوا يحملون مشعل العلم والفن ، أو كالرومان الذين شيدوا الممالك وأوجدوا التشاريع ، أو كالأمة العربية التى أخذت عن الأمم السالفة ما أخذت وأبدعت من ذاتها ما أبدعت وساهمت فى تشييد صرح المدنية الحاضرة ، ولكننا إذا اعتبرنا البشرية بأجمعها أسرة واحدة ورثت كل أمة عن الأخرى ماورثت فمنذ ذلك نميل إلى الإعتقاد بالتقدم الدائم والتطور المستمر .

هذا التطور البطيء هو من سنة الكون ، ولكن بجانب ذلك نشاهد فى عالم الطبيعة وعالم المجتمع من انقلاب فجائى واندفاع آنى يدك الأرض دكا ويغير معالمها . إن هذه النضبة تفضبها الطبيعة فى انفجار البركان وفى الزلزال الأرضى يذهب ضحيتها فى كثير من الأحيان كثير من الكائنات الحية . وفى عالم الاجتماع نشاهد ذلك أيضاً فى الانقلابات الاجتماعية التى تكون عند الاختراعات العظيمة أو عند اليقظة الفكرية . ولعل حاجتنا فى هذا العصر الذى قطعت فيه أوروبا فى سبيل الرقى والتقدم ما قطعت من الخطوات الواسعة ، إلى انقلاب فى جميع طرز حياتنا لأعظم من أى عصر ، لأن بلاد الغرب قطعت تلك المراحل فى قرون عديدة .

أما نحن ، فان حاجتنا أن نأخذ النتائج كما هى ، ومن بعد ذلك نسعى فى الإبداع وإظهار قابليتنا . فإذا أردنا أن ننتظر الزمن وتبدلاته البطيئة فلن نلحق بركاب الغرب . عند ذلك نبقى متأخرين عن الأمم الراقية أبد الآبدين . فالأرض تثور لتخرج ما فى جوفها من لظى مستمر ، والمجتمع يثور ليطلق ما فى قلبه من نار متأججة مبدلا بها معالم حياته . وكم من تشابه بين الطبيعة والمجتمع . تندفع المياه إلى النيران المستعرة فى جوف الأرض فتتشكل الأبخرة وتتراكم إلى أن تنطلق بقوة وعنف ، وكذلك تتجمع الأفكار فى الأدمغة إلى أن تنطلق بقوة فعالة فتدك المعالم القديمة لتبنى فوق أنقاضها عالما جديداً على أساس عميق . وما أعمق فور الإنسان ، وما أشد حاجته إلى أن يبنى بناء المجد الشامخ على أساس ثابت ! وكما سمت الشجرة فى السماء تحتاج إلى جذر عميق فى الأرض ، منبعث عن توق للتجدد واشتياق كامن فى النفوس إلى الحياة . ولايعد من أبنائها إلا من تاق لها وقدرقيمها . أما من لم يتق إلا للفناء فى قرارة نفسه على رأى بعض الأدباء المعاصرين فراغ رهيب وصدى فناء صارخ بصوت القبور ، ونشاط أجوف يبتلع القيم ، ناقم على الوجود . ويقاس الناس فى عمل كل إصلاح بالنسبة إلى إيجابيتهم وأهليتهم للبناء ومساهمتهم فى الفوضى . المدمرون كثيرون وأما البناؤون فقلائل . ودعاة الفوضى لايحصى لهم عدد ؛ أما الإيجابى فطريقه طريق الحياة ولو جاءت الحياة من طريق التدمير .

فى النهضة المنبعثة عن الحياة النابضة انطلاق وثاب ونفس ضاقت بما فيها فانفجرت فى قوة مكتسحة بناءة تتجه نحو الخير والجمال ، وتدوس فى سبيل بلوغها بقايا الفساد القائمة . شتان بين من يهدم ليهدم وبين من يهدم ليبنى ، ففى أحشاء الأول فناء وفى أحشاء الثانى حياة وارتقاء . يثور الأول ليحطم ، فلن يلبث أن يبتلع نفسه . أما الساعى للبناء ففى أحشائه امتلاء دفاق ، فيعطى عطاء سخياً ، ولا تكون الحياة إلا حيث يكون العطاء .

فى انطلاق البراكين مواد هامة لبناء القشرة الأرضية ، حتى أن دورة الماء لا تقف عند سطح الأرض ، بل ثبت أن الحياة الإندفاعية الباطنية لتشترك فى الدورة المائية ، وفى الأحقاب التى كان فيها اندفاع البراكين على أشده كانت المياه أشد غزارة . فى اندفاع الينابيع الفوارة إرواء للأرض وللكائنات الحية على سطحها ، وفى الفيضانات الطاغية سماد لها لتزداد قوة الانبات فيها ، رغم ماتجره تلك السيول الطاغية على الحقول والبساتين والمنازل من الأضرار والتخريب . حتى أن فى الزلازل المخيفة فائدة فى تكييف شكل الأرض .

إن فى النهضات الإجتماعية أيضاً والثورات الفكرية أضراراً جزئية لا يخلو منها انقلاب من الانقلابات ، ولكن الحوادث تتراءى لنا عكرة إذا نظرنا إليها بمنظار أنانيتنا ، أما إذا نظرنا إليها بمنظار المصلحة العامة والخير الشامل ، عند ذلك يتلاشى من نفوسنا حب الذات والأثرة وندرك أموراً خافية عنا .

قد يكون فى النور الشديد الظل المديد ، وجذر الانقلاب العميق هو فى النفس ، وإن الله لايغير مابقوم حتى يغيروامابأنفسهم .

(بغداد) **محمد يحيى الهاشمى**

شياطين الشـــعراء (*)

للأستاذ أحمد محمد الحوفي

عبقر — شيطانا الشعر — شياطين بعض الشعراء — شياطين شعراء الإفرنج — العقل الباطن .

— ١ —

الشعر وحي وفيض وإلهام ، وهو إذا ما صدر عن عاطفة مشبوبة صادقة ، فلا أثر للارادة فيه ، أو أثرها فيه أضعف من تأثير التلقي والطواعية والاستمداد من أغوار النفس واللاشعور .

وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن ، وتخيلوا أن عبقر واديهم ومقامهم ، وقالوا في الأمر العظيم عبقري ، فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجن ، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض . ولكن للشعر شيطانين : أحدهما مجيد واسمه الهوبر ، والآخر مفسد واسمه الهوجل ، وكانت عقيدتهم هذه معلومة في العصر الإسلامي ، فقد روى أن رجلاً من تميم أتى الفرزدق وقال له : إني قد قلت شعراً فاسمعه قال : أنشدني فقال:

ومنهم عمر المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم

فضحك الفرزدق ، ثم قال : يا ابن أخي إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل ، فمن انفرد به الهوبر فسد شعره ، وقد اجتمعا لك في هذا البيت ، فكان معك الهوبر في أوله فأجدت ، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت[1] .

وقد سموا الشعر رقى الشياطين ، قال جرير :

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقياً

وقال آخر :

ماذا يُظنُّ بسلمى إذ يُلمُّ بها
مُرَجَّل الرأس ذو بُرْدَين وضّاح
خزٌّ عمامته حلوٌ فكاهته في كفه من رقى الشيطان مفتاح

وصرح كثير منهم في العصر الجاهلي وفيما بعده بأن شياطينهم تلهمهم أفانين القول ، قال الراجز :

إني وإن كنت صغير السن وكان في العين نبوٌّ عني
فإن شيطاني أمير الجن يذهب بي في الشعر كل فن[1]

وقال حسان في جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يُقال له : من هوه ؟
إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذى لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فطوْراً أقول ، وطوراً هوه

وقال جرير :

إني ليُلقى عليَّ الشعر مكتهل من الشياطين

— ٢ —

ولم يكتفوا بنسبة شعرهم إلى الشياطين ، بل سموْها ، فكان لكل شاعر شيطانه المسمى . فشيطان الأعشى مسحل ، وشيطان عمرو بن قطن جهنام ، قال الأعشى :

دعوت خليلي مسحلا، ودعوا له جهنام . بعداً للغوى المذمم[2]

وشيطان المخبل السعدي عمرو ، قال الشاعر الإسلامي :

لقد كان جنيُّ الفرزدق قدوة ولا كان فينا مثل فحل المخبل
ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعرٌ مثل مسحل

وشيطان عبيد بن الأبرص هبيد ، وهو نفسه شيطان بشر بن أبي خازم وينسبون إليه :

أنا ابن الصلادم أُدعى الهبيد حبوت القوافي قَرْمى أسد
عبيداً حبوت بمأثورة وأنطقت بشرا على غير كد
ولاقى بمدرك رهط الكميت ملاذا عزيزاً ومجداً وجد
منحناهم الشعر عن قدرة فهل تشكر اليوم هذا معد ؟[3]

وسأله الراوي : أما عن نفسك فقد أخبرتني ، فأخبرني عن مدرك ، فقال : هو مدرك بن واغم صاحب الكميت ، وهو ابن عمي .

وقالوا إن شيطان امرىء القيس لافظ بن لاحظ ، وشيطان زياد الذبياني هاذر[4] ونسبوا إلى أبي نواس أنه كان يستعين بإبليس في نظم الشعر ، ورووا له أبياتاً منها :

دعوت إبليس ثم قلت له في خلوة والدموع تنحدر :

(*) من كتاب « الحياة العربية من الشعر الجاهلي » الذي يظهر في هذا الأسبوع .

(١) جمهرة أشعار العرب ٣٠

(١) رسائل أبي العلاء ١٠٥ (٢) رسائل أبي العلاء — ١٠٥

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٣ . (٤) الجمهرة ٢٣ .

أما ترى كيف قد بليت ، وقد قرح جفني البكاء والسهر ؟
إن أنت لم تلق لي المودة في صدر حبيبي وأنت مقتدر
لا قلت شعراً ولا سمعت غنا ولا جرى في مفاصلي السكر
فما مضت بعد ذاك ثالثة حتى أتاني الحبيب يعتذر(١)

ولم يقتصروا على نسبة الشعر للشياطين ، بل نسبوا إليهم الغناء أيضاً في العصر الإسلامي ، وقالوا إن الغريض كان يتلقى غناءه عن الجن ، وأن سماره سمروا و يغنيهم ذات ليلة عزيفاً عجيبا ، وأصواتاً مختلفة أفزعتهم ، فقال لهم . إن فيها صوتاً إذا نام سمعه ، ويصيح فيبني عليه غناءه ، فأصغوا إليه فإذا نغمته نغمة الغريض فصدقوه(٢) .

ولم يقنع أبو النجم أن يكون شيطانه كشياطين الشعراء ، فادعى أن شيطانه ذكر وشياطينهم إناث ؛ لأن الذكور أقوى من الإناث وأقدر :

وإني — وكل شاعر من البشر شيطانه أنثى — وشيطاني ذكر

وروى بعضهم بيت عمرو بن كلثوم في معلقته هكذا :

وقد هرت كلاب الجن منا وشذبنا قتادة من يلينا(٣)

وقال إن الشعراء كانوا يسمون كلاب الجن ، فالمعنى أننا لبسنا الأسلحة فشرع الشعراء يذكروننا .

— ٣ —

ولهم مع شياطين الشعراء أقاصيص ومساجلات ، ومحاكات منثورة في كتب الأدب ، نذكر بعضها للتمثيل :

قال جرير بن عبد الله البجلي (٤) : « سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه ، فأبى أن يتقدم ، فدنوت من الماء وعقلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عنده ، فقعدت ثم أتاهم رجل أشد تشوهاً منهم ، فقالوا هذا شاعرهم ، وطلبوا منه أن ينشدني ، فأنشد :

« ودع هريرة إن الركب مرتحل » البيت

فلا والله ما خرم منها بيتاً واحداً ، حتى انتهى إلى هذا البيت :

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت
كما استعان بريح عشرقٌ زجلُ(١)

فأعجبه ، فقلت له : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا ، قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عاما أول بنجران . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتها على لسانه ، وأنا مسحل صاحبه ، ما ضاع شعر شاعر وضعه عند ميمون بن قيس »

وقد لاقى الأعشى هاجسه مسحلا وسمع منه (٢) ، وقد اعترف في شعره أن مسحلا يوحي إليه ، بل إنه مصدر وحيه ولولاه ماشعر :

وما كنت شاحوذاً ولكن حسبتني
إذا مسحل يسدي لي القول أعلق
شريكان فيما بيننا من هوادة صفيان : إنسيٌ وجنٌ مُوفَّق
يقول فلا أعيا بقول يقوله كفاني لا عيٌ ولا هو أخرق(٣)

وحاور عبيد بن الحارس جنياً (٤) بالشعر .

وذكر أبو العلاء أن أبا بكر بن دريد قص على أصحابه أنه رأى فيما يرى النائم أن قائلا يقول : لم لا تقول في الخمر شيئاً ؟ فقال : وهل ترك أبو نواس مقالاً ؟ فقال له : أنت أشعر منه حيث تقول :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا
عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقال له أبو بكر : من أنت ؟ فقال : أنا شيطانك ، وسأله عن اسمه فقال : أبو زاجية ، وخبره أنه يسكن بالموصل(٥) .

— ٤ —

وإذا كان العرب قد عزوا شعرهم إلى الجن وتخيلوا أنها تلهمهم ونسبوا كل أمر عظيم إلى عبقر فإن الفرنجة يشبهونهم في كثير من تخيلهم .

يعبر الإنجليز عن العبقرية بكلمة genius ومصدرها الذي

---

(١) عصر المأمون ٣ — ٢٣٣ .
(٢) الأغاني ٢ — ٣٧٣ الدار .
(٣) آكام المرجان .
(٤) الأغاني ٩ — ١٥٦

(١) العشرق : شجيرة في أكمامها حب صغير إذا جفت فرت بها الموج سمعت لحبها خشخشة .
(٢) خزانة الأدب ٣ — ٥٤٩
(٣) جمهرة أشعار العرب ٣٠
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ — ٤٤٨
(٥) رسائل أبي العلاء ١٠٦

اشتقت منه كلمة genii ومعناها جن ، فبين العبقرية والجن علاقة فى اللغة الإنجليزية كالعلاقة التى بين عبقر والعبقرية فى اللغة العربية ، وقيل إن أصل الكلمة لاتينى يدل على معنيين متقابلين : ملك رحيم وشيطان رجيم ، يولد الواحد منهما أو يولدان معاً بمولد الشاعر ، ويقصون عن بعض شعرائهم قصصاً تشبه شبهاً قوياً ما روى عن شياطين شعراء العرب ، فمثلاً بدأ الشاعر « كولردج » قصيدته « كوبلاخان » وأتمها لمـا جنى والشاعر نائم ، واستيقظ الشاعر « ماسفيلد » من نومه لينقل عن جنى قصيدته « المرأة تتكلم » وأغرب من هذين ما يرويه « وليم بلاك » عن نفسه إذ يزعم أنه مسكون ، وأن ساكنيه ملائكة وشياطين تطارده نهاراً ، وتوقظه ليلا ، لتوحى إليه بما ينظم وحياً لا يستطيع أن يصده ، ولا قدرة له على تنضج ماتوحى به

ويقول « ريلكة » إنه ظل أسير الأرواح ثلاثة أيام لم ينقطع فيها نظمه ، وأخرج ديواناً من دواوينه الروائع ، وأعجبه ، وألح الجن أن ينشره ، فرضى على شريطة أن يكون النشر بعد وفاته حتى لا يتحمل تبعة شعر أملاه عليه جنى جالس قبالته[١] .

— ٥ —

ولكن علم النفس يعزو هذا كله إلى العقل الباطن ، وقد كشفت الدراسات التى قام بها علماء التحليل النفسى عن كثير من عمل العقل عند الفنان ، وانتهوا إلى أن الانتاج الفنى يصدر غالباً عن العقل الباطن كأنه حلم يقظة .

ويروى استيفنسن ، كيف بدأ هو نفسه يكتب قصته الفنية البديعة (دكتور جيكل ومستر هيد) فيقول : « إن العمل الحقيق يقوم به مساعد غير منظور ، أبقيه أنا داخل حجرة عليا مغلقة ... يقوم به أولئك الناس الصغار — فى الدماغ — الذين ينجزون لى نصف عملى وأنا مستغرق فى نومى وربما أنجزوا النصف الباقى وأنا مستيقظ تمام اليقظة حيث أظن أنى أنا القائم بالعمل ، وكثيراً ما يعلن لى أن أعتبر نفسى غير فنان ، بل مخلوقاً شأنه شأن بائع الجبن أو الجبن نفسه »

وهذا التصوير المستملح تؤيده إشارات من كتاب آخرين ، فهذا فولتير — وقد جلس مرة فى إحدى مقاصير المسرح يشهد تمثيل رواية من رواياته — يصبح متعجباً . أحقاً أنا الذى كتب ذلك ؟

وجورج إليوت — ولم تكن تعتقد فى قوى نفسية غير طبيعية — تصرح أنها قد خيل إليها وهى تكتب Abenapede أن عقلا آخر قد استحوذ على قلمها وسيّره ، ويقول جوته إنه كتب أحسن رواية له وهو فى غيبوبة حالة يشبهها بحالة النائم الماشى . وكثير من الأدباء الأحياء صرحوا بهذا ، فمثلا بروفسور هوسمان يقول فى طريقة إنتاج قصائده : أنا أظن أن إنتاج الشعر ليس عمليه فاعلة actiue قدر ما هى قابلة hosriue وغير اختيارية

— ٦ —

التحليل النفسى يعزو إلى العقل الباطن الإنتاج الأدبى الرفيع وقد عبر الشعراء من العرب والإفرنج عن هذا العقل بأنه قوى خفية تلهم ، وسموها شياطين .

وإذا كان الشعر يحلق بجناحين من الخيال فقد حق للشعراء أن ينطلقوا مع خيالهم فينسبوا شعرهم إلى قوى وراء حسهم ، وتصورهم هذه القوى شياطين ألصق بالخيال وأدنى إلى الشعر من التحليل النفسى الذى يرجع الإنتاج الأدبى إلى العقل الباطن للشاعر ، أى إلى الشاعر نفسه .

لست بهذا أهيم مع الشعراء وأجحد حقائق العلم ، وإنما أقرر أن الشعراء كانوا موفقين فى تخيلهم وفى دعواهم أن شياطينهم تلهمهم أو تملى عليهم ...

أحمد محمد الحوفى
المدرس بكلية دار العلوم بجامعة فؤاد الأول

(١) الأدب المقارن لنجيب العقيقى ص ٤٠

رائيـــة أبي فراس
في الشعر المعاصر
للأستـــاذ أحمد أحمد بدوي

لم تظفر قصيدة في شعر أبي فراس من الشهرة بما ظفرت به قصيدته الرائية التي بدأها بقوله :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهي عليك ولا أمر

فهي أكثر قصائده دوراناً على الألسنة ، وقد أغرت بعض الأدباء بتشطيرها حيناً ، وتخميسها حيناً آخر ، ومعارضتها مرة أخرى .

وممن شطر هذه القصيدة الأستاذ الكناني الأبياري (سنة ٩٨٦م) ، وليس في تشطيره من جديد سوى زيادة عدد الأبيات ، وكان عمل المشطر أن كرر المعنى ، أو فصله بعض التفصيل ، وهاك نموذجاً لما فعل :

قال أبو فراس :

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوأته عمرو

فشطره الكناني بقوله :

ولا خير في دفع الردى بمذلة إذا لم يكن عز فإن الردى خير

ومن يرتضى ردّ الردى بمعرة كما ردها يوماً بسوأته عمرو

وعلى هذا النسق يسير ، لا يأتي بمعنى جديد ، ولا يكمل معنى جاء به الشاعر الأول . ولا ريب أن ما جاء به الكناني شديد الضعف بموازنته بما جاء به أبو فراس . ثم عاد الكناني ، فشرح الأصل والتشطير ، بشرح الكلمات اللغوية أولاً ، ثم يعود إلى الشرح الإجمالي ، وسمى عمله « إيناس الجلاس ، بتشطير وشرح قصيدة أبي فراس » .

وخمس هذه الرائية الجنبيهي ، المعاصر للكناني ، وهذا التخميس أقل قوة من تشطير معاصره ، وقد أضعف القصيدة ، وأنهك معناها ، وكثيراً ما كان يتلمس الوصول إلى البيت بمعان ليست في الصميم ، كما ترى في تخميس بيتي أبي فراس :

وإني لنزال بكل مخوفـــة كثير إلى نزالها النظر الشزر

وإني لجرار لكل كتيبـــة معودة ألا يخل بها النصر

خمسهما الجنبيهي بقوله :

وليس لها ما بين لين وعطفة وبين الجفا والصد أدنى مسافة

لذا صرت منها في ارتماد ورجفة وإني لنزال بكل مخوفـــة

كثير إلى نزالهـــا النظر الشزر

فيا سعد مهلاً ، ليس نأبي لوحشة من الأهل ، لا بل مزعجات محبة

وإني من قوم كرام أعزة وإني لجرار لكل كتيبـــة

معـــودة ألا يخل بهـــا النصر

فأنت ترى ضعف التأليف ، وكيف كان الشاعر يلتمس المعاني التي تصل به إلى البيت لأدنى ملابسة ، وكيف إن الجمع بين الغزل والفخر أضعف كليهما ، ولكنك تحس بقوة القصيدة منفردة عن التشطير والتخميس .

وعارض البارودي وهو في المنفى ، تلك القصيدة الرائية التي أنشأها أبو فراس وهو في الأسر ، وافتخر الشاعران في القصيدتين ، وبدآها بالغزل .

كانت طبيعة الغزل في القصيدتين مستمدة من موقف الشاعرين ، فاقتبس الحديث عن الحب من ذلك الموقف مشاعره وإحساساته . أما أبو فراس فقد أنشأ قصيدته في أيام أسره الأولى ، عندما كان الأمل يملأ قلبه في أن ابن عمه سيسرع إلى فدائه ، وهو من أجل ذلك يبدى الجلد والصبر ، وإن كان لا يستطيع بينه وبين نفسه أن يخفي اللوعة والأسى ، فهو أمام الناس جَلْد صبور ، حتى إذا جن الليل وانفرد ، بكى ما شاء له البكاء .

هذا الخاطر الذي كان يملأ نفسه ، هو الذي أوحى إليه بهذا الشعور عندما تحدث عن الحب فقال :

أراك عصي الدمع ، شيمتك الصبـر
أما للهوى نهي عليـــك ولا أمر

بلى ، أنا مشتاق ، وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر

إذا الليـل أضواني بسطت يد الهوى
وأذللت دمعاً من خلائقه الكبر

تكاد تضيء النار بين جوانحي إذا هي أذكتها الصبابة والفكر

وتستطيع أن ترى أثر موقفه في مبدأ الأسر جلياً في غزل هذه القصيدة ، وأكاد ألمس فيها نوعاً من الرمز والإيماء ، وبهذا

تستطيع أن نفهم كيف إنها علاقة بالوصل حيناً إذ يقول :

معللتي بالوصل ، والموت دونه   إذا مت ظمآناً ، فلا نزل القطر

وكيف إنها تجاهلته حيناً آخر :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة   وهل بفتى مثلي على حاله نكر
فقلت ، كما شاءت وشاء لها الهوى   قتيلك ، قالت أيهم ؟ فهمو كثر
فقلت لها : لو شئت لم تتعنتي   ولم تسألي عني ، وعندك بي خبر
فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا
فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر
وما كان للأحزان لولاك مسلك   إلى القلب ، لكن الهوى للبلا جسر

وينتقل أبو فراس بعدئذ انتقالاً طبيعياً إلى الفخر بنفسه إذ يقول :

فلا تنكريني يا ابنة العم ، إنه   ليعرف من أنكرته البدو والحضر
ولا تنكريني ، إنني غير منكر   إذا زلت الأقدام واستنزل النصر

وهنا وجد المجال فسيحاً للحديث عن خصاله الحربية ، ومزاياه ؛ فتحدث عن أنه ميمون الطالع ، قائد مظفر ، لا يخشى المعارك المخوفة ، بل يخوض غمارها ، حتى ترتوي البيض ، وتشبع الذئاب والنسور ، لا يغتال عدوه ، ولا يفجؤه ، بل يرسل إليه النذر يخيفه ويحذره ، ثم يصور لك إقدامه في صورة بارعة إذ يقول :

ويا رب دار لم تخفني منيعة   طلعت عليها بالردى أنا والفجر

فهذا حصن منيع قد وثق بنفسه ، ولكن لم يلبث الفجر أن قاد إليه الهلاك عندما صمد إليه أبو فراس يحمل له الردى . ويحدث الشاعر عن احترامه المرأة ، حتى لا تستطيع شجاعته إلا أن تلق بسلاحها أمامها ، فيعفو عن قومها ويرد إليهم أسلابهم . ثم هو رجل لا يطغيه الغنى ، ولا يثنيه الفقر عن الكرم ، وهو في كل هذا الحديث قوي يشيم في أبياته روح الأمل .

وانتقل بعدئذ إلى حديث أسره ، فلم ينسبه إلى ضعف بدر منه ، بل قضاء غلاب ، لا يستطيع امرؤ أن يفلت منه :

أسرت ، وما صحبي بعزل لدى الوغى
ولا فرسي مهر ، ولا ربه غمر
ولكن إذا حم القضاء على امرئ   فليس له بر يقيه ولا بحر
وقال أصيحابي : « الفرار أو الردى »
فقلت : هما أمران ، أحلاهما مر
ولكنني أمضي لما لا يعيبني   وحسبك من أمرين خيرهما الأسر

ولعل أبا فراس صغر الأصحاب هنا تقليلاً لمددهم ، وتحقيراً لشأنهم .

كان الأمل يملأ شعره في هذه القصيدة ، ولهذا رأيناه يستقبل الأسر بصدر رحب ، لإيمانه بأن قومه لابد ذاكروه وفادوه ، فليس عندهم من يملأ مكانه إذا غاب :

سيذكرني قومي إذا جد جدهم   [وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر]
ولو سد غيري ما سددت اكتفوا به
وما كان يغلو التبر لو نفق الصفر

ويختم أبو فراس قصيدته مفتخراً بقومه الذين يحتلون في قومهم مركز الصدارة ، ولا يقبلون دونه مكاناً ، ففي سبيلة تهون نفوسهم ، ويشتد شعور أبي فراس بهم وبعزتهم فيقول :

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العلا   وأكرم من فوق التراب ولا فخر

أما البارودي فقد كان غزله كذلك مستمداً من موقفه ، فإذا كان أبو فراس مؤملا يخفي آلامه ، فإن البارودي — وقد جفت آماله — لا يجد بداً من أن يتحدث ببعض ما يشعر به من أسى وحزن ، وإن كان يخفي في قلبه من اللوعة أكثر مما يبين ، فتلون غزله بهذا اللون ، فرأيناه يبوح بالحب لا ينهاه عن ذلك زجر ولا عتاب ، وهو يرى الحب ، وربما كان يرمز به إلى مصيره — أمراً مقدوراً ، ليس لامرىء فيه من نهي ولا أمر ، وإنه ليقاسي من هذا الحب أعنف ما يقاسيه إنسان ، ومع هذا لا يبدي كل ما يحمله صدره من الوجد ، ولا يترك دموعه تهمي ، لا صبراً في انتظار تحقيق أمل ، ولكن حياء وكبراً ، واستمع إليه يقول :

طربت وعادتني المخيلة والسكر   وأصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر
كأني مخمور سرت بلسانه   معتقة ، مما يضن بها التجر
سريع هوى يلوي بي الشوق كلما   تلألأ برق أو سرت ديم غزر
إذا مال ميزان النهار رأيتني   على حسرات ، لا يقاومها صبر
يقول أناس : إنه السحر ضلة   وما هي إلا نظرة دونها السحر
فكيف يعيب الناس أمري ، وليس لي
ولا لامرىء في الحب نهي ولا أمر
ولو كان مما يستطاع دفاعه   لألوت به البيض المباتير والسمر
ولكنه الحب الذي لو تعلقت   شرارته بالجمر لاحترق الجمر

على أننى كانت صدرى حرقة   من الوجد لا يقوى على حملها صدر
وكفكفت دمعـــاً لو أسلت شئونه
على الأرض ما شك امرؤ أنه البحر
حياء وكبراً أن يقال: ترجحت   به صبوة أوفل من غربه الهجر

فأنت ترى الغزل مستمداً من حاله ، ولو أنك جعلت ما يهواه وطنه ، وأدرت عليه الحديث لم تبعد .

لم يطل البارودى بعدئذ فى الحديث عن نفسه كما فعل أبو فراس، بل اكتفى ببيت واحد يحمل خيبة الآمال ، إذ قال :

وإنى امرؤ لولا العوائق أذعنت   لسلطانه البدو المغيرة والحضر

وكان المجال أمامه فسيحاً لتعداد مواقفه فى الحرب والسياسة ، ولكن يبدو أن يأسه ساعتئذ قد تغلب عليه ، فصرفه عن الحديث ماض لاسبيل إلى استئنافه ، على عكس أبى فراس ، القوى الأمل فى أن يعود — كما كان — البطل المفدى . وكان المجال فسيحاً كذلك أمام البارودى للحديث عن نفيه ، والدفاع عن نفسه ، كما تحدث أبو فراس عن أسره ، ولكنه لم يفعل ، ولعله اكتفى فى ذلك بما تحدث به فى قصائد أخرى كثيرة .

أما الذى أطال الحديث فيه حتى استغرق معظم قصيدته على عكس أبى فراس ، فحديثه عن آبائه . وقد ذكروا أنه ينحدر من المماليك الشركية ، فاتخذ من ذكراهم وسيلة يشبع بها عاطفته فى الفخر ، ويملى نفسه بمصارهم ، ويسجل لهؤلاء الأسلاف شجاعتهم وكرمهم ، وهنا يستمير خيالاً بدوياً إذ يقول :

لهم عمد مرفوعة ، ومعاقل   وألوية حمر ، وأفنية خضر
ونار لها فى كل شرق ومغرب   لمدرع الظلماء ألسنة حمر
تعـــديداً نحو السماء خضيبة   تصافحها الشعرى ويلثمها الغفر

وختم قصيدته ختاماً يائساً حزيناً ، رثى فيه قومه وقد مضوا ، وسوف يمضى على أثرهم :

لعمرك ما حى وإن طال سيره   يعد طليقـــاً والمنون له أسر
وما هـــذه الأيام إلا منازل   يحل بها سفر ، ويتركها سفر
فلا تحسبن المرء فيهــا بخالد   ولكنه يسعى ، وغايته العمر

أما أبو فراس فقد ختم قصيدته مالئاً شدقيه من الفخر بقومه الذين كانوا يومئذ قابضين على الملك والسلطان .

هذا ، وقد ظفرت قصيدة أبى فراس بشهرة فى العالم العربى الحديث ، كما رأينا ، وغنت أم كلثوم بعض غزلها ، وسارت على الألسنة بعض أبياتها كقوله :

ولكن إذا حم القضاء على امرئ   فليس له بر يقيه ولا بحر

وقوله :

سيذكرنى قومى إذا جد جدهم   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وقوله :

ونحن أناس لا توسط بيننا   لنا الصدر دون العالمين أو القبر

وقوله : « ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر » .

وأما قصيدة البارودى فلم تظفر من الشهرة بنصيب .

أحمد أحمد بدوي
مدرس بكلية دار العلوم

٢ ـ من شـــجرة الدر

لحضرة صاحب السعادة عزيز أباظة باشا

المشهد السابع :

الملكة ، أيبك ، أقطاى ، بيبرس ، قلاوون . يدخل سنجر .

سنجر : هذا ابن مطروح
الملكة : أجاء ؟
سنجر : أجل
الملكة : فاد
خله ورحب بالوزير الشاعر
قد عاد آخر رسْلنا ولعلنا
نُهـدَى بأنباء الرسول الآخر
(يدخل جمال الدين بن مطروح)

الملكة مستمرة:
خيراً جمال الدين
ابن مطروح : خيرٌ لم يزل
يندَى على الستر الرفيع(١) الطاهر
الملكة : ماذا وراءكَ ؟
ابن مطروح : تركت الأمَ عصبة(٢)
فكأنما خُلقوا بغير ضمائر
الملكة : صفْ ما رأيت وقائماً ومشاهداً
وانقل لنا — لا تقتضب — ما قيلا
ابن مطروح : أبلغت أنباء التمرد
الملكة : ساقها
أخواك قبلك
ابن مطروح : فاسمعي التفصيلا
لم يكفهم عصيانهم ومروقهم
بل أوسعوا أنصارنا تقتيلا

(١) لقب من ألقاب شجرة الدر .
(٢) إشارة إلى أمراء الشام .

(الملكة فى غضب)
أتعرضوا للصالحية(١) ؟
ابن مطروح : من نجوا
منهم تواروا فى البلاد فــلولا
أخذوهمو والليل ضارب ستره
فى غِرة أخذا هناك وبيلا
الملكة : شرفا شيوخ الصالحية مصر لن
تنسى لكم ذاك الدم المطلولا
من مات فى شرف الجهاد فإنهُ
حيٌ ، وأودى من يعيش ذليلا
(أقطاى فى تحمس)
يامليكة الوادى جيوشك دوَّخت
تلك البلاد وأهلها فتكلمى
فى كلّ موضع حافر من أرضهم
أثرٌ لخيلك بالفوارس ترتمى
الملكة : صبرا أمير الجند ، إن لم تحسم الـ
أحداثُ بالحسنى إذن فتقدمِ
إيه جمالَ الدين فارجع للذى
تروى
ابن مطروح : نفضتُ لك الخطير
الملكة : فأتمِ
ابن مطروح : خلفتهم عزموا على الْجلى
الملكة : فما
ت الرأى
أقطاى : استبق الحوادث واعزمى
ابن مطروح : وتركتهم قد أجمعوا أن يبعثوا
وفداً بشكواهم إلى المستعصم(٢)
الملكة : ألِى الخليفة يُهرعون ؟!
ابن مطروح : أجل
أيبك : فما
يبغون ؟

(١) الصالحية : فريق نسب للملك الصالح من الموالين لشجرة الدر .
(٢) الخليفة ببغداد .

الملكة : يبغون اعتزالىَ فاعلم

أيبك : كيف السبيل ! ومصر حولك تفتدى

وتذود من أستار عرشك بالدم

هذى بلادٌ نحن سادتها

الملكة : اصطنع

صبراً ولا يعجل لسانك تندم

(تبدو الملكة وكأنها عادت فتمالكت جأشها)

لو أنهم قصدوا الخليفة وحده

قلنا — وإن لم ينصفوا — لم يسرفوا

لكنهم ركنوا إلى أعدائنا

مستنصرين بهم ولم يتعففوا

(دهشة وتهامس من الجميع)

بيبرس : مولاتنا !

أيبك : إنمى الذى قلت

الملكة : اهدأوا

هذا اليسير النزر مما نعرفُ

أيبك : هل حالفوا أعداءنا ؟

الملكة : بل أوفدوا

شعراءهم فتوددوا وتلطفوا

أيبك : مولاتنا ، إن صح ذاك فإنه

عارٌ يجللهم فلا يتحرفُ

الملكة : إن كنت فى شك فهذى كتْبهم

بالمخزيات وبالخيانة ترعفُ

وعدوا الفرنجة بعضَ مصرَ فقل لهم

الله مانع مصر مهما ترجفوا

(تخرج مكتوبين من صدرها وتطلع عليهما رجالها)

أيبك : أفتأذنين ؟

الملكة : أجل

أيبك : فكيف اسطعت أن

تصلى لهذى الكتْب؛ هل نبأتنى؟

(الملكة بعد فترة صمت)

أفضت إلينا مرغريت مليكة ال

أفرنج بالأنباء ، قلت فبرهنى

لم يُرضها أنى شككت فأسرعت

وسعت إلينا بالدليل البين

فاذا بكتبهمو وتوقيعاتهم

أيبك : يا للخيانة والصَّغار الممن !

الملكة : لم تسألونى لم خُصصتُ بذلك السر الخطير

أمراؤهم كتبوا لإخوة زوجها الملك الأسير

قالوا لهم حتّام صبركمو على ذلّ الدهور

لن تنقذوا الشرف الرفيع بغير جيشكمو المغير

فثبوا على مصر تهن، وتذلّ فى الأمد القصير

قالوا وهل تقوى النساء على مساولة الذكور

أيبك : أكذا ؟

الملكة : أجل فاسمع فلم تعلم سوى النزر اليسير

وعدوّهمو جنداً يؤازرهم مؤازرةَ الظهير

من أجل ذاك رأيت يا أقطاىُ إطلاق الأسير

سيرون بأس الغانيات وبأس ربات الخدور

ابن مطروح : أعداؤنا كثرٌ

أيبك : أمنا . . هم

إن لم نبت بضغائن وحقود

لو قد بقينا جبهة مصرية

لم نخش عادية الخطوب السود

أقسمتُ « بالمنصورة » العظمى التى

شهدت مجالى . . ك المشهود

وبكل شبر من ثراها خالد

بدماء علجٍ أو دماء شهيد

أقسمت ان تُجتاح مصرُ وأنت من

أبطالها فى شكة وجنود

(الملكة مخاطبة الموجودين)

سيجيئكم أمرى

بيبرس : أتأذن ربة ال

تاج السنىّ

الملكة : أذنت

بيبرس : هز مكانها

الملكة : يا قوم ضبط النفس أكرم خلة

ونجاح كل سياسة كتمانها

عزيز أباظة

هل تستطيع روسيا غزو العالم؟

للأستاذ فؤاد طرزي المحامي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

عند نهاية الحرب انخفض الإنتاج الاقتصادي في الاتحاد السوفياتي من ٤٢ في المائة بالقياس إلى الإنتاج الأمريكي إلى ٢٥ في المائة بالنسبة لهذا القياس . وإذا ما سار كل شيء سيره الطبيعي في روسيا فإن الكفاءة الصناعية فيها ستبلغ في عام ١٩٥١ نفس الكفاءة التي كانت تتمتع بها أميركا عام ١٩٠٤ أي قبل ٤٤ سنة وفي عام ١٩٦٠ سيبلغ الإنتاج الروسي إنتاج أميركا عام ١٩١٨ .

وحين قدم ستالين مشروع السنوات الخمس الرابع في ٩ شباط عام ١٩٤٧ قال : « إن المهمة الأساسية تتركز في استعادة مستوى ما قبل الحرب في الصناعة والزراعة ثم بعد ذلك نزيد هذا المستوى بنسب متفاوتة معقولة . وربما تطلبت الزيادة ثلاثة مشاريع جديدة من مشاريع الخمس سنوات ، ولكننا يجب أن ننجز ذلك » .

ويستطيع المتتبع أن يتأمل في هذا المشروع جيداً ، محللا أهداف ستالين ، مقدراً الكفاءة الشيوعية تقديراً مسرفاً في المبالغة ، ومع ذلك فإن روسيا إلى الآن لم تنفذ مشروعاً واحداً من مشاريع السنوات الخمس المتعددة .

وقد أعلن ستالين بأن هدفه فيما يتعلق بإنتاج النفط أن يبلغ هذا الإنتاج (٦٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تعدت أميركا هذا الرقم منذ (٢٨) سنة مضت وأنتجت في عام ١٩٤٧ وحده (٢٧٠) مليون طن . وإذا رجعنا إلى الحقائق وتركنا الآمال وجدنا أن إنتاج روسيا من النفط بلغ درجة من القلة اضطرها إلى استعمال الفحم وغيره من الوقود القليل الاحتراق عند عدم توفره .

ووجد المهندسون السويديون العاملون في روسيا اليوم أن (٣٠) بالمائة من إنتاج الفحم قد استهلكته القاطرات . بينما استعملت كميات أخرى تقدر بـ (٣٠) بالمائة أيضاً من هذا الإنتاج في إنتاج القوة الكهربائية ، ولذلك فلم يبق سوى (٤٠) بالمائة من إنتاج الفحم يجب أن يستعمل في كافة المصانع الروسية يشمل ذلك فحم الكوك المستعمل في إنتاج الفولاذ .

ويريد ستالين من مشروع السنوات الخمس الحالي أن يوصل إنتاج الفحم إلى (٥٠٠) مليون طن سنوياً عام ١٩٥١ ، بينما تجاوزت أوربا والولايات المتحدة هذا الرقم منذ (٣٠) سنة مضت .

وطلب ستالين أن يصل إنتاج الفولاذ إلى (٦٠) مليون طن عند نهاية مشروع السنوات الخمس الجديد ، أو خلال المشروع الذي يليه ، بينما بلغ إنتاج القارة الأوربية وحدها ما مقداره (٥٠) بالمائة أكثر من هذه الكمية في نهاية الحرب الأخيرة .

وينقص روسيا بعض المواد الصناعية المهمة في الاستعداد الحربي منها « التانكستن » والمليدنوم والقصدير والأمونيا ، وينقصها أيضاً ما هو أهم من هذه المواد وهو المطاط ، إذ أنها لا تملك خطوط مواصلات إلى ما وراء البحار تجلب عن طريقها المطاط الطبيعي ، كذلك ليست لها الإمكانيات اللازمة لبناء المصانع المعقدة التي لا بد منها لإنتاج المطاط الصناعي .

ويشكو الاتحاد السوفياتي شكوى واضحة من قلة طرق المواصلات ، ولكن فيما يتعلق بعدد البواخر الموجودة الآن لديه فهو في وضع لا بأس به ، إذ أن بواخره التجارية التي كان يقدر عددها قبل الحرب بمقدار عدد بواخر السويد قد ضوعفت بما قدمته أمريكا للاتحاد السوفياتي من هدايا وبما حصل عليه من ألمانيا كتعويضات . ومع ذلك فإن سعة مساحة الاتحاد السوفياتي ترهق مواصلاته الداخلية المحدودة . فالطرق قليلة رخوة ، والطريق الوحيد هو الطريق الذي يبدأ من موسكو إلى لننغراد شمالا وإلى « منسك » غرباً ونحو « كييف » و « خاركوف » جنوباً ، بينما تستعمل العربات في المدن استعمالا رئيسياً . ولهذا فإن روسيا تحتاج احتياجاً كبيراً إلى قنوات منظمة كالقنوات التي تقوم بالقسط الأكبر من أمور النقل في أوربا الغربية . كما أنها لا تملك طرقاً مائية ما خلا عدة أنهار كبيرة تتجمد مياهها أغلب أيام السنة . ولذلك فإن أكثر من (٨٣) بالمائة من الشحنات الداخلية يجب أن تنقل بالسكك الحديدية ، وأن روسيا حتى داخل مثلثها الصناعي لا تملك وسائل المواصلات الكافية ، وكل ماييلنه طول طرق سككها الحديدية طول الطرق التي كانت في الولايات

المتحدة منذ مائة سنة مضت ، أى فى عام ١٨٤٦ ، إذ يبلغ مجموع طول طرق السكك الحديدية فى روسيا (٥٧) ألف ميل يقابل ذلك (٢٢٦) ألف ميل فى الولايات المتحدة الآن .

وهكذا فإن نقص طرق المواصلات الحديدية يشكل أعظم ثغرة فى الاقتصاد الروسى ، وهو نقص سيحد من طاقة روسيا سنين عديدة مقبلة ، وحتى وفق مشروع السنوات الخمس الجديد ستبنى روسيا (٤٥٠٠) ميل من خطوط السكك الحديدية الجديدة متركزة فى الجهة الغربية من البلاد وهى الجهة التى سيطر عليها النازيون مدة من الزمن . وروسيا مضطرة إلى تبديل مهمات السكك الحديدية فى حين أن هذا التبديل لا يمكن أن يتم عن طريق الإنتاج الروسى ، ولذلك فإن السوفيات يستعملون الآن عربات قديمة ويجلبون التجهيزات أحياناً من ألمانيا والأقطار التابعة لها . ويعمل الاختصاصيون الروس والمهندسون السويديون الآن على تقليد العربات الأميركية وإنتاج أنواع منها .

إننا نستطيع أن نعرف الشيء الكثير عن روسيا من دراسة الصناعة الآلية السوفياتية . فالمصانع الروسية لا تنتج أى مبتكر خاص بها من تصاميم السيارات بل هى تنتج على منوال التصاميم الأميركية والبريطانية مع أحداث بعض التغييرات الطفيفة . ومع ذلك فإن المنتجات الروسية من السيارات لا تزال غير قوية جداً . ولا يزيد مجموع طرق السيارات المعبدة فى روسيا على ثمانية آلاف ميل .

كما أن الكلام عن استخدام الأيدى العاملة فى الاتحاد السوفياتى يقفنا بدوره على قدرة روسيا الحربية . فقد جاء فى مجلة « المشاكل الاقتصادية » الروسية أن قوة الكهرباء المستعملة فى إدارة المحطة الأمريكية فى ماهوس (نيوجرسى) تعادل القوة الكهربائية المستعملة فى محطة كيمرفو الروسية . وعلى الرغم من أن المحطتين تنتجان إنتاجاً متساوياً ، فإن المصنع الأميركى فى المحطة الأولى يستخدم (١٥١) عاملاً ، بينما تستخدم المحطة الروسية (٤٨٠) عاملا . ويستخدم المصنع الأميركى فى نفس المحطة (١٧) موظفاً لإنتاج الورق بينما يستخدم المصنع الروسى فى المحطة الروسية (٦١) موظفاً . وبصورة عامة يمكن القول بأنه يجب استخدام (١١) شخصاً لإنتاج ألف فولت من الكهرباء فى ظل النظام الروسى الاقتصادى بينما تحتاج الكفاءة الصناعية فى الولايات المتحدة شخصين فقط لإنتاج نفس القوة .

وإذا رجعنا إلى موضوع حقول النفط فى روسيا وجدنا أن وضع هذه الحقول ليس جيداً أيضاً . ففى الولايات المتحدة يستخرج أكثر من (٩٠) بالمائه من الفحم على شكل قطع ، ثم ينقل ميكانيكياً ، ولا يستخرج بالمسحاة والفاس غير مقدار قليل لا يتجاوز الأربعة بالمائه من مجموع الإنتاج . بينما تستخرج أكثر كميات الفحم فى روسيا باليد . وتشكو مناجم الفحم ، ككل الصناعات الروسية من قلة الأيدى العاملة المنتجة . فقد وجد أحد مهندسى المناجم وهو سويدى زار منطقة الفحم فى روسيا مهندساً روسياً واحداً لا يزال على قيد الحياة وميكانيكياً وقوميسيراً سياسياً واحداً ومجموعات من العمال يحرس كل أربعة منهم جندى مسلح . فإن عدد العمال الذين يخضعون لنظام العمل الإجبارى فى روسيا يفوق أى عدد آخر من عمال المصانع الأحرار المستخدمين فى المصانع الروسية ، إلا أن العامل المستعبد فى ظل النظام الروسى الاقتصادى لا ينتج بنفس الكفاءة التى ينتج بها العامل الحر فى ظل الأنظمة الاقتصادية . ولقد بذلت المحاولات فى مشاريع السنوات الخمس الأولى لتدريب العمال المهرة بواسطة المدارس الفنية الخاضعة للدولة ، ولكن رغم ذلك عندما جاء عام ١٩٣٦ لم تجهز هذه المؤسسات غير حوالى مليون عامل وظل التقدم فى هذا الاتجاه بطيئاً . ويهدف مشروع ستالين الحالى تجهيز الصناعات الروسية بستة ملايين عامل مدرب ، وعندما يتحقق هذا الهدف الذى يعتبر غاية آمال الروس يكون الاتحاد السوفياتى قد حصل على عدد من العمال يساوى عدد العمال الذين يشتغلون فى إنتاج السيارات فقط فى الولايات المتحدة .

والآن نتساءل عن القنبلة الذرية وعن الوعد الذى تستطيع فيه روسيا أن تصنع القنبلة بكميات كبيرة :

إن العلماء الأمريكيين والإنجليز مقتنعون بأن العلماء الروس يعرفون الطرق العامة لصنع القنبلة ولو أنهم لا يعرفون الخطوات الحقيقية التى « تفجر فيها القنبلة وترى » . إلا أن أغلب المشاكل الصعبة بالنسبة للروس هى بناء المصانع المعقدة التى لا بد منها

لإنتاج القنبلة الذرية ، لأن إنتاجها يحتاج إلى مقدرة تفوق حد الوصف . فالبراميد يحتاج إلى عمليات معقدة والإشعاع الراديومي مثلا يحتاج إلى سيطرة آلية هائلة إذ أن إقامة مصنع للقنابل الذرية يجب أن يوضع وفق تصميم يستطيع أن يعمل بموجبه المعمل وحده بلا إشراف العمال عليه . وبالقياس إلى هذا المستوى العلمي الفائق في القابلية العملية تعتبر روسيا متأخرة . فمن حيث الكفاءة الإنتاجية التي تعتبر مفتاح صنع القنبلة الذرية تتأخر روسيا عن الولايات المتحدة والدول الغربية بمعدل (٢٢) سنة إلى الوراء .

والخلاصة ، أن تهديد روسيا للعالم تهديد حقيقي لا شك فيه ، ولكن روسيا بدرجة من الضعف تستطيع معه القيام بحرب دفاعية بالقرب من بلادها ، ولكنها أضعف من أن تشن حرباً هجومية كالحرب التي شنتها دول المحور عام ١٩٣٩ .

فؤاد طرزي الحماسي

مصادر البحث :

١ — تاريخ العالم : هـ : ج ويلز

٢ — الاتجاه نحو نظام جديد : هـ . ج . ويلز .

٣ — تقرير المستر تايلور : الريدرز وايجست .

٤ — مجلدات مجلة الإيكونمست عام ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

٥ — ولادة عالم جديد : المستر بتلر في مجلة الشؤون الخارجية عدد تموز عام ١٩٤٨ .

الجناح المهيض

للأستاذ إبراهيم الوائلي

دعيني وتهويمة الشاعرين ... ونجوى الطبيعة في معزل
فإني —متى هجع السامرون— بغير الهواجس لم أحفل
أراك ووحشة هذا الظلام ... تزيدين من همّي المثقل
فهل تعلمين بأني شربت ... أمرّ من الصاب والحنظل ؟
وأني أذبت بقايا الفؤاد ... ترانيم تصخب كالمرجل
سلي الشهب عن سهري في الدجى ... تجبك متى شئت أن تسألي
خطوب يعج بها حاضري ... وأخرى تهدد مستقبلي
وفي كل يوم أرى نبوة ... من الزمن القلّب الحوّل
أنا اليوم لست كما تعهدين ... وكاليوم شأن غدي المقبل
وما بات يخفق في أضلعي ... حنين إلى عهدي الأول
دفنت الشباب وأحلامه ... وما فيه من متع حُفّل
وودعت أمسي بين الصخور ... فذاب على الشوك والجندل
وماتت بقلبي تلك الرغاب ... كما يحصد الزهر بالمنجل

دعيني وألحاني المعولات ... تنوح على الأرغن المعول
تريدين مني زفيف الطيور ... وأين الزفيف من الأعزل ؟
فلا زغب في الجناح المهيض ... أهوّم فيه على منهل
تفيض الينابيع عن جانبي ... وأُحرم من مائها السلسل
وأدرك في الروض معنى الجمال ... وأُمنع من نظرة المجتلي
وأشتاق أن أرد الضفتين ... فتُحجبُ عني رؤى الجدول
وأهوى سنا الفجر خلف الغيوم ... فأقبع في ليليَ الأليل
وأهتاج أنسامه الحالمات ... فيرتد عني مُسرى الشمأل
وأصغي لهدل طيور الفضاء ... تطارح أنشودة البلبل
فأمضي ولا صوت في مسمعي ... يرن سوى خفقة الأجدل

تريدين مني غناء الطيور ... وليس سوى القفر من موئل ؟
حشدت الصخور إلى جانبي ... وشوك الطبيعة في محفلي
وصوّبتُ في جنبات السهول ... وصعّدتُ في قمم الأجبل
وهمهمت للوحش في غابه ... وغمغمتُ للنعم الجُفّل
وعدت ولا شيء غير الرياح ... متى أرها في الدجى تعول

ضللت الطريق ... وكم تائه ... أراح على جذوة المصطلي
وأبصر في خلجات السماء ... نجوماً تَغوّرُ أو تمتلي
ولكنني لم أزل حائراً ... أجوب الرمال على الأنعل
تواكبني خطرات الدجى ... ثقالاً ينوء بها محملي
فمن هيكل سابح في الطريق ... يلوح أمامي إلى هيكل
ومن شبح مدبر يستفز ... خيالي إلى شبح مقبل

تريدين مني انطلاق النسيم ... على الروض في ثوبه المخمَل ؟
وإشراقة الفجر بين الحقول ... وفوق أغانيها النيّل
وما أنا ... يا هذه ... إنني ... برمت بمالك الأمثل
دعيني ومابي ... فلولا الشجون ... تثير الحمائم لم تهدل

(القاهرة) **إبراهيم الوائلي**

انتظار . . .

للأستاذ عمر النص

أقبلى ... أقبلى ... فقد عسعس الليـ ل ُ وغام الفضاءُ فى ناظريَّا
السماء الأكناء ترهق أنفا سى وتلق النذير فى أذنيا
أقبلى ... فالظلام يوقر نفسى نزوات ... ويوقظ الشجو فيا
والرياح الغضاب تلطم شبا كى وتدوى خلف الزجاج دويا
والحيا دافق ... يطير مع الريـ ح وتجرى به سخياً سخيا !
ونبـاح الكلاب يخنقه القـ ر وتمضى به الرياح قصيا ...
أقبلى ... فالظنون يا ليل تأبى أن أحس النعاس فى جفنيا
وأنا فى ترقبى ... أفتح البا ب وأرنو ... علّى أطالع شيا
أسأل الليل : ما وراءك يا ليـ ل ... وأصغى إلى الرياح حفيا
أنا فى موقفى .. تحدق عينا ى ... ويسمى بى الخيال مليا
كلما مر فى الدجى ذو جناح كدت أنى أضمه بيـديا
وكأنى أراه يشفق منى فيكاد الفؤاد يصرخ : هيا !
... أى شىء تُرى أعاقك عنى بعد ما أرهف الصدى أذنيا
أى درب سلكته فأضلت فيه أقدامك الطريق إليا ؟ !
طال لبثى ... ولم أزل أفتح الصد ر وأستقبل الظلام العتيا
كلما صحتُ فى القتام لسارٍ ضاع صوتى ... ومات فى شفتيا !
ليت شعرى ألم يحن لفؤادى أن يرى فى الحياة شيئاً رضيا
مزقته يد الفراق ومرت وهو ما زال بالفراق شقيا !

إيه ليلاى ... لم أعد أرقب الأفـ ق ... وإن كنت قد مددت يديا
أنا باق هنا أجاهد إخفا قى وأخنق المياه فى نظريا
طاش حلمى ... وكدت أفقد صبرى
وتجـلى الشحوب فى وجنتيا ...
أنا باق هنا ... وقد نصل الليـ ل ... فردى لى الخيال النويا
ودعينى لوحدتى ... أغلق البا ب وأبكى ... فلست آمل شيا !!

(دمشق) عمر النص

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

قصة الدموع التى شابت :

جاء إلى الحياة والدمع فى عينيه ، ورحل عنها والدمع فى عينيه ... وتلك هى قصته : قصة الدمع الذى شاب والشعر فى سواد الليل ، والروح الذى اكتهل والعمر فى ربيع الأمل ، والزهر الذى صوّح والعطر فى رياض الشباب !

من هو؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريباً فى دنياه : همسة تنطلق من فجاج الصمت لتتلاشى فى سكون العدم ، وومضة تشع من وراء الأبد لتخبو فى ظلام اليأس ، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجى كل عابر سبيل !

يخيل إلىّ أنه لم يكن بشراً من البشر ... لقد كان روحاً : روحاً شرب من خمرة الأسى المعتقة فى دنان الشجن حتى ثمل ، وكأن الأيام حين طافت عليه بكئوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين . وكان طيفاً : طيفاً شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير ، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه ، فبكل تعزية فى حساب الشعور وهم لا يجدى وسلوة لا تحين !

تسألنى عنه ؟ ... لقد كان « قارئاً » من قراء « الرسالة » ، حدثنى عن نفسه يوماً فكتبت إليـه ، وشكا إلى الحياة فأشفقت عليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا فى عالم الرؤى والطيوف ! كل ما بقى منه سطور رأيته من خلالها رأى الفكر ، وصورة رأيته من ظلالها رأى العين ... وما تستطيع يدى بعد اليوم أن تمتـد إلى رسائله ... وما تستطيع عينى بعد اليوم أن تنظر إلى صورته . رباه إنى لا أخشى أن تحرقنى ناره إذا ما قرأت ، ولكننى أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعنى وهج نوره إذا ما نظرت ، ولكننى أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معانى القبر

فى كلماتها كم شهدت مصرع الفكر ، وفى زفراتها كم شممت رائحة الموت ، وفى أناتها كم سمعت صوت النعماة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوماً على وقع أقدام الشيعين

الا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حى إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك وحياة فى موكب الصفو تمضى وحياة فى موكب الشجو تقيم ، وكأس مزاجها الشهد للسكارى وليس فيها للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... وندامى ... ويتامى ... وفرحة يهتز منها شعور وحرقة تلهب منها صدور ، وياجرعة الصبر فى قلوب الصابرين ما أعمق مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن فى التراب أ كواباً من العزاء !

من حمرة الشفق حيث طويت الشمس الغاربة ، يصطبغ اليوم وجدانى وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل ما فيها خواء يبعث على الشكوى ويغرى بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل فى شفائه : مبضعى الذى يفتش عن مكامن الداء قلم ، ودوائى الذى يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملك ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العباب والضباب إلى شواطئ الفناء !

رباه ، لقد كنت رحيما به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق مايحمل طوق الأحياء من عبادك !!

•

جيته بعد قرنين من ميلاده :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا فى عدد أكتوبر من مجلة « الكتاب » جاء فيه : « كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين ، وهو إمام الوجودية الألمانية غير مدافع ، وله آراء فى علم النفس وأدب السلوك تعد من مبتدعات المذاهب الأخلاقية فى القرن العشرين ، ومن أجل هذه الآراء يعول على تقديره لشاعر الألمان الأكبر جيته فى ذكرى ميلاده ، بعد انقضاء مائتى عام على ذلك الميلاد ... قال ياسبر عن منزلة جيته الأدبية : إنه وإن يكن أعظم الشعراء الغنائيين فى الألمان ، وعلى الرغم من التقدير العالمى العظيم الذى نالته روايته (فاوست) ، لا يقف فى عالم الأدب موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير على أساس عمل خاص من أعماله . ولكنه منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ، وهى تلك الشخصية التى كان الشعر والبحث العلمى والجهود العملية من عناصرها الأولية !

وتقدير ياسبر هذا يطابق تقديرنا للنابغة الألمانى العظيم فيما كتبناه قبل سبع عشرة سنة ، لمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته ، فقد قلنا عنه فى رسالة صغيرة : إن جيته من العبقريين الذين لاينبئ قليلهم عن كثيرهم لأنه لم يجمع نفسه فى قطعة واحدة ولا موضوع واحد . فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لايدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لايدل على جملة الموضوع ، فكل فكرة له هى أصغر من الرجل فى جميع أفكاره » !

أود أن أقف قليلا لأناقش هذه الآراء ، وأول شئ يستوجب الوقوف ويدعو إلى التعقيب قول الأستاذ العقاد إن كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع . وأظن أن تاريخ الفلسفة المعاصرة سيقرر أن الفيلسوف الألمانى هيدجر لا « ياسبر » هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع ... وحسبنا فى مجال التدليل على صحة هذا الرأى أن نقول إن الوجودية الفرنسية عند « سارتر » قد اتجهت فى تقرير مذاهبها إلى الوجودية الألمانية عند « هيدجر » ، وأن فلسفة هذا الأخير كانت المنبع الأصيل الذى تدفقت منه القطرات الأولى فى الوجودية السارترية ، أو الحقل الأول الذى استمد منه الفيلسوف الفرنسى بذوره الفكرية الضخمة ، تلك التى أينعت وأثمرت فى الوجود والعدم « L' être et Le néant » ...

أما عن رأى ياسبر فى منزلة جيته الأدبية فهو رأى عجيب ، ومصدر العجب فيه تلك الموازنة بين أديب وأديب على أساس عمل خاص من أعماله الفنية ... إن الموازنة على هذا الأساس باطلة ، لأن الميزان الحق لأقدار الأدباء لايقام على أساس فكرة واحدة أو رأى واحد أو كتاب واحد يضم بين دفتيه عدداً من الآراء والأفكار ، وإنما يقام الميزان الحق فى مجال الموازنة بين

أديب وأديب بأن يوضع إنتاج هذا كله فى كفة ، وأن يوضع فى الكفة الأخرى إنتاج ذاك ... عندئذ يصح الحكم ويستقيم التقدير لأننا نضع عالماً من الفكر أمام عالم ، ونقابل فى ميدان الذهنية المبدعة بين حياة وحياة . إننا إذا وازنا مثلا بين فاوست والإلياذة ، أو بين فاوست والكوميديا الإلهية ، أو بين فاوست وهملت ، لنخرج من هذه الموازنة بأن جيته على أساس هذا العمل الخاص من أعماله لايقف موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير ، كنا كمثل من يوازن بين شارع فى برلين وثلاثة شوارع أخرى فى أثينا وروما ولندن ، لندلل على أن المدينة الأولى لاتقف فى مجال الضخامة أو الجمال أو النظافة موقف الند من المدن الثلاث الأخريات ... تلك ولا شك موازنة لا تليق ومنطق لا يروق !

ورب قارئ يعترض على نقدنا لهذا الشق الأول من رأى ياسبر بأن الشق الأخير يتفق وهذا التصحيح ، وهو الشق الذى ينادى فيه الفيلسوف الألمانى بأن جيته منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ... إن ردنا عليه هو أن جيته ليس منقطع النظير فى رأى ياسبر بمجموعة أعماله الأدبية وحدها ولكنه منقطع النظير بشخصيته المتعددة الجوانب والمواهب والملكات ، ويدخل فى ذلك أدبه وبحوثه العلمية وجهوده العملية !

وأعجب العجب بعد هذا كله أن ينظر الفيلسوف الألمانى ياسبر إلى الشاعر الألمانى جيته نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من شكسبير ، وأن ينظر الكاتب الإنجليزى كارليل إلى الشاعر الإنجليزى شكسبير نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من جيته ... ذلك لأن لكارليل فى شاعر الألمان الأكبر رأياً معروفاً سجلته من قبل على صفحات الرسالة ، وهو أن جيته أعظم أدباء العالم بلا استثناء !!

حديث لم يخطر لى على بال :

فى العدد (٢٢٥) من مجلة المسامرات ، وفى الصفحة الثامنة والعشرين يمكنك أن تقرأ مقالاً هذا عنوانه : « بين الشيوخ والشباب ما صنع الحداد » ... مقالا مهدت له المجلة بهذه الكلمات « هى معركة لم تنته بعد ، بين الشيوخ والشباب ... فأولئك يتهمون الجيل الجديد بالسرعة وعدم الاستقرار ، وهؤلاء يتهمون السالفين بالجمود والرجعية . وفيما يلى تعرض « المسامرات » مجموعة إجابات من الجيلين » .

وبعد أن سجلت المجلة عدداً من الآراء لفريق من شيوخ الأدب وفريق من شبابه ، بعد هذا جاء دور أنور المداوى فقال : « إننا نقدر الشيوخ لأنهم فتحوا أعيننا على الكثير ، وهذا التقدير يقف حائلاً بيننا وبين إعلان سخطنا عن التواء بعضهم ... إن الكاتب ينبغى أن يكون إنساناً قبل كل شىء . وحينما يكون إنساناً تسقط عنه العصبية السخيفة ، فلا تجد فارقاً بين كاتب وكاتب ... وما أقل الكاتب الإنسان عندنا » !

أشهد أن حديثاً كهذا لم يخطر لى على بال ، وأشهد أن مجلة المسامرات لم تسألنى فى أى يوم من الأيام عن رأيى فى أى موضوع عرضت له ، ولو سألتنى لما أجبت ... لأن فى مثل هذه الأحاديث سخفاً لا أحب أن أشارك فيه ، ولكنها الصحافة المصرية تنطق الناس بما تشاء لا بما يشاءون ! صدقنى لو أنطقتنى « المسامرات » بما يمكن أن أنطق به لهان الأمر ولكنها — عفا الله عنها — قد جعلت الشيوخ — مع احترامى لهم — يفتحون عينى على الكثير ، وجعلتنى — سامحها الله — إنساناً بلغت به الإنسانية ذلك الحد من التسامح الذى لا أفرق عنده بين كاتب وكاتب ! ..

إن مجلة « المسامرات » تذكرنى ببعض كتاب القصة والمسرحية فى مصر ، أولئك الذين ينطقون أبطال خيالهم بما لا يمكن أن تنطقهم به الحياة ! !

حول الأمانة العلمية فى الجامعة :

يذكر القراء تلك القضية التى عرضتها على محكمة الرأى العام الفنى فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة ، هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور جمال الدين الشيال . ولقد سألنى الكثيرون لماذا لم يرد الدكتور شكرى على ما اتهم به من السطو على رسالة زميله وقد انقضت على ذلك أيام وأيام ؟ ... أما أنا فقد كنت على وشك أن أعقب على موضوع الأمانة العلمية ظناً منى أن الدكتور شكرى قد آثر السلامة فلاذ بالصمت ، ولكن أحد زملائه فى الجامعة قد أنبأنى بأنه متغيب عن وطنه منذ بعيد فى مهمة سياسية ، ولهذا أرجىء التعقيب مرة أخرى حتى يعود ونسمع دفاعه .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

ابن الحسب والنسب :

هذا هو اسم المسرحية التي قدمتها أخيراً الفرقة المصرية على مسرح الأوبرا الملكية ، وهي للكاتبين الفرنسيين إميل أوجييه وجورج صاندو ، وقد ترجمها محمد عبد المنعم سعيد بك ، وأخرجها الأستاذ فتوح نشاطي المخرج بالفرقة . وتجرى وقائع هذه المسرحية في القرن التاسع عشر بفرنسا ، وهي تعرض ناحية من الصراع الاجتماعي بين طبقة الأشراف التي كان قد تضاءل نفوذها وانحسرت سيادتها عن المجتمع ، وبين الطبقة الوسطى التي يمثلها رجال الأعمال الذين وصلوا إلى الغنى بكدهم وارتقت بفضلهم التجارة والصناعة ، ويتجه سير المسرحية إلى السخرية من طبقة الأشراف وانتصار طبقة العاملين عليهم ، فكان الغرض واضحاً ، كما أن المنهج طبيعي والعرض طلي ، بحيث يشعر المشاهد أنه يواجه موضوعاً مهماً ، وفي نفس الوقت يحس بالطرافة والمتعة الفنية . وقد استطاع المترجم أن ينقل تلك المقاصد حية نابضة ، بأسلوب لابأس به ، غير أنه لم يراع السلامة اللغوية في بعض العبارات ، ولا تزال تطن في أذني كلمة «المايّة» التي رددها أبطال المسرحية في قولهم « القرض بفائدة ستة في المايّة » بفتح الميم المدودة . .

وتتلخص المسرحية في أن « المركيز دي بريل » تزوج من « أنطوانيت » ابنة « المسيو بواربيه » التاجر الغني ، ويبدو هذا الزواج في المشهد الأول على أنه صفقة رضى بها المركيز المفلس ليستمتع بثروة صهره ويحيا حياة الترف والتبطل التي اعتادها ، كما اغتبط بها المسيو بواربيه ليستفيد من لقب المركيز وهو يطمع في أن يصل بهذه المصاهرة إلى عضوية الشيوخ ، وقد أنس من ابنته حبها للمركيز . ونعلم بغرض المركيز من هذه المصاهرة ، من حديث يجرى بينه وبين صديقه « الدوق دي موغران » الذي يعمل كجندي في الجيش بأفريقية ، وقد قدم في إجازة ؛ أما المسيو بواربيه فهو يعرب عن آماله لصديقه وشريكه « فرداليه » وهو « عراب » أنطوانيت ، ويخيل إلى أن الجمهور لم يدرك معنى كلمة « عراب » والمقصود بها مايسمى في العرف الكنسي بمصر « الشبين » الذي يكفل الطفل من وقت « تعميده » أي يرعاه ويعطف عليه . والكلمة « عراب » لا تستقيم عربية ، ولعلها سريانية .

يلاحظ فرداليه أن صديقه يغدق على المركيز المفلس المسرف المتبطل ، وأن المركيز يستهين بزوجته أنطوانيت ، فيحرض المسيو بواربيه على أن يضع حداً لهذه الحال فيطلب من المركيز أن يبحث له عن عمل . وما إن يفاتح المركيز في ذلك حتى يأبى في تشمخ واشمئزاز ، وتسوء العلاقة بين الصهرين ، ويشمر المسيو بواربيه أن زوج ابنته يحقره ، فيقابله بالمثل ويمنف به ، ويرتب الأمور على أن يطرده من القصر . ومرة يلين المركيز في مناقشة صهره حتى يستدرجه إلى البوح له بأنه يطمع أن ينال بجاهه عضوية الشيوخ فيهزأ به وتزداد الحال بينهما سوءاً .

وفي خلال تلك الحوادث نرى الفتاة الوديعة أنطوانيت تتودد إلى زوجها الذي يستخف بها أولا ثم لا يلبث أن يشعر نحوها بشيء من الحب .

ثم يتحرج موقف المركيز عندما يكشف الجميع عن علاقته بمدام « دي مونجيه » بوساطة رسالة منها إلى المركيز تقع في يد المسيو بواربيه فيفضها ويطلع أنطوانيت عليها فتكاد تصعق منها . ويهدد الرجل صهره برفع الأمر إلى القضاء ليفصل بينه وبين ابنته التي تحطمت سعادتها . فيغضب المركيز خوفاً على سمعة خليلته ، ولكنه يخضع لصهره فيرجوه ألا يفعل ويعده بأن يقطع علاقته بها وأن ينزل عند رغبته في مزاولة عمل ، وتدخل أنطوانيت وتخطف الرسالة من أبيها معلنة أنها صاحبة الحق وأنها هي التي ستقاضي زوجها . ويفاجأ المركيز بما يدهشه من نبل زوجته ، إذ تمزق الرسالة وتلقي بها . . ويتقدم إليها في احترام ، ولكنها تصده وتعلن أنها أرملة منذ اليوم .. ويحاول المركيز أن يستغفر زوجته . ويقبل عليها أخيراً وقد اعتزم مبارزة منافس له في « مدام دي مونجيه » فتمنعه أنطوانيت فيأبى التخلف عن المبارزة

ولكنها تقول له إنها تعتبر عدوله عن المبارزة دليلا على حبه إياها ، فيمدل ، فتطلب منه أن يذهب إلى المبارزة محافظة على كرامته وشرفه ، فيهم بالذهاب فترد إليه رسالة من منافسه بعدوله عن المبارزة .

وفي هذا الجو الصافي يعبر المركيز عن اقتناعه بضرورة أن يعمل عملا يعيش منه ، فيتقدم « فردليه » ويهدى إلى المركيز وزوجته قصر أجداد المركيز الذي كان قد اشتراه وما يحيط به من المزارع ليعمل المركيز في استغلالها ، وبذلك تنتهي المشاكل كلها حتى تطلع المسيو بواربيه إلى عضوية الشيوخ .

وكنت أفضل أن يظل المسيو بواربيه طامعاً في عضوية الشيوخ ، فإن المركيز لم يقدم شيئاً ، بل هم الذين كانوا له وصفحوا عنه وإن كانوا قد أذلوا كبرياءه ، ولكن لا يوجد ما يجعل الرجل يتنازل عما يطمح إليه .

وأبطال القصة سماتهم واضحة ما عدا اثنين : صديق المركيز ، وصديق المسيو بواربيه ، وقد مثل المركيز « فاخر فاخر » ومثل المسيو بواربيه « حسين رياض » وقد اندمج كل منهما في دوره اندماجاً كليا حتى نقلانا إلى فرنسا في القرن التاسع عشر

وكان حسين رياض يعبر بكل لفظة وكل حركة ، حتى حركة قدمه التي كان يرفعها في وجه المركيز احتقاراً له .

ومثلت أنطوانيت « أمينة رزق » فأجادت تمثيل الفتاة الرقيقة المتلطفة لزوجها ، ثم الفتاة الشموس التي تغضب لكرامتها وتمزج هذا الغضب بالنبل الذي يصفع نبل «الأشراف» ولكنها أسرفت في مظاهر الغيرة بالبكاء والنحيب كدأبها ... ولست أدري أهذه الغيرة الشديدة من امرأة فرنسية في أصل المسرحية أم حدث تعديل يمكن لأمينة رزق من هذا الذي عرفت به ...

وأجاد فؤاد فهيم في تمثيل الطاهي الذي يزدهي ببراعته في في فن الطهي ، وكان هذا الدور من تمام السخرية من الأرستقراطية إذ ينتسب إليها الطاهي ويفخر بأجداده وماضيهم في المطابخ !

ومثل صديق المركيز « كمال حسين » ومثل فردليه « محمود رضا » والشخصية الأولى بائمة فلم تدل صفاتها وتصرفاتها على طبقة من الطبقتين ، والشخصية الثانية تافهة غير جديدة بما نسب إليها من التأثير في أنطوانيت ولعل ضعف تمثيل الشخصيتين أتى من ذلك ...

كشكول الأسبوع

□ استأنف لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية عملها في نقل هذه الدائرة القيمة النافعة إلى العربية ، وهي تصدر في ليدن بالانجليزية والفرنسية والألمانية . وكانت اللجنة قد انقطعت عن هذا العمل الجليل بعد أن ترجمت ثمانية مجلدات بها أكثر من ثلاثة آلاف مادة في شتى الموضوعات الإسلامية ، وقد بدأت نشاطها أخيراً بإصدار ستة أعداد من الدائرة .

□ يشتغل الأستاذ محمود تيمور بك الآن بوضع مسرحية عنوانها «أنا ابن جلا» تدور حوادثها حول شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي

□ تعتزم وزارة المعارف إنشاء ناد مصري في باريس وإلحاق مركز ثقافي به ، على غرار النادي والمركز اللذين في لندن . وستقوم وزارتا المعارف والخارجية بتزويد هذا المركز الثقافي بالمؤلفات والإحصاءات والرسوم البيانية التي تحقق أغراضه وأهمها تعريف العالم الأجنبي ببلادنا .

□ أبدت هيئة اليونسكو رغبتها في أن يقام بدارها في باريس ، معرض الفن الشعبي المصري الذي تنظمه وزارة المعارف المصرية ، وأن ترعى هذا المعرض وتدعو إليه ، وقد وافقت وزارة المعارف على ذلك .

□ قال الدكتور يحيى الخشاب مدير المطبوعات في حديث صحفي : يجب أن يتجه أصحاب الأفلام إلى الأدباء الممتازين ، لكتابة القصة ونظم الأغاني ، فإن ذلك يرفع مستوى الفلم المصري .

□ من التصرفات العجيبة لبعض زملائنا الصحفيين ، أن أديباً كتب بإحدى الصحف مقالاً جاء فيه ذكر كتاب « صور من العشق » فحذف سكرتير التحرير اسم الكتاب من المقال ، فلما سأله الكاتب عن ذلك أجاب بأنه لا يتفق مع سياسة (الجورنال) فقال له الأديب ساخراً : ألا يكتب (الجورنال) شيئاً عن «محيباشا» ؟!

□ عهد إلى قسم خاص بكلية الطب في إعداد بحث واف عن طب ابن سينا وما جاء به زيادة على طب اليونان ، وذلك لمناسبة قرب الاحتفال بالذكرى الألفية لابن سينا

□ يشتغل الدكتور محمد هاشم وزير الدولة بوضع مشروع هام لإصلاح الإذاعة وبرامجها .

□ وضع الكاتب الفرنسي أندريه جيد مؤلفاً باسم كاتب من الكتاب المجهولين ، ليري رأى النقاد والقراء فيه غير متأثرين باسم المؤلف ، فكانت نتيجة التجربة أن أخفق الكتاب وأهمله النقاد واكتفى بعض الصحف بمجرد الإشارة إلى ظهوره .

□ وضع الأستاذ كامل عجلان مسرحية باسم « سلطان العلماء » تدور حوادثها حول «العز بن عبد السلام» شيخ الإسلام في مصر لأول عهد المماليك . وسيمثلها فريق الأزهر للتمثيل قريباً .

□ في صباح يوم من الأيام التقى أحد « أولاد البلد » بالأستاذ شوقي أمين سكرتير معالي رئيس المجمع اللغوي ، فقال الأول : «صباح الفل يا ميت نرجس» قال الأستاذ اللغوي رداً على التحية : « صباح الإذخر يا مائة عرار ! » .

العربية بين الباكستان والبلاد العربية :

قدم إلى مصر فى الأسبوع الماضى السيد شودرى خليق الزمان (لا خالق الزمان كما ذكرت بعض الصحف) رئيس الرابطة الإسلامية بالباكستان . وزيارته لمصر جزء من برنامج رحلته فى البلاد العربية التى يقوم بها لبث الدعوة إلى اتحاد إسلامى عام تتكتل فيه جميع البلاد الإسلامية .

وقد دعت الجالية الباكستانية فى القاهرة يوم الأربعاء الماضى ، طائفة كبيرة من رجال الفكر والصحافة وعلماء الدين ، إلى الاجتماع بدارها حيث تحدث إليهم السيد خليق الزمان ، وقد بين فى حديثه ضرورة تكتل المسلمين وتعاونهم على الأخذ بوسائل التقدم وأسباب القوة ، وأبرز فكرة « الجنسية الإسلامية » التى تقوم على الترابط والتواد بين كافة المسلمين فى مختلف ديارهم ، ومما قاله أن بعض المفكرين يدعون إلى الاقتداء بالغرب ، وبعضهم يقول بالنظر إلى الشرق ، ولكنى أقول : يجب أن ننظر إلى ذاتنا وإلى الهنا .

وكان الزعيم الباكستانى يتحدث باللغة الأردية ، وهى لغة التخاطب السائدة فى الهند والباكستان ، ويترجم عنه إلى العربية الأستاذ الأعظمى عميد كلية اللغة العربية فى كراتشى . وقد شعر الجميع بالتقارب الفكرى والوجدانى بينهم وبين الضيف الكبير الكريم ، على رغم الاختلاف فى اللغة ، ولا شك أن لاتحاد اللغة شأناً كبيراً فى جمع المتكلمين بها على المودة والأخوة ، وأنا أعتقد أن الباكستان تدنو من أخواتها الإسلامية التى تتكلم العربية ، وتحقق هدف الاتحاد المنشود ، باتخاذها العربية لغة لها . ولا يقل هذا شأناً — إن لم يزد — عن الوسائل الأخرى من الدعوة المباشرة وغيرها .

ولا أريد أن أثقل على إخواننا الباكستانيين بتكرار ذلك الذى قلته فى مناسبة سابقة ، وإنما أستبشر بما تنقله إلينا الأنباء عن حركة تعلم العربية فى الباكستان ، وما تبذله الدولة فى هذا السبيل ، وهى لاتزال فى أوائل سنتها الثالثة ، وأستشرف إلى المستقبل القريب الذى نرى فيه الباكستان أمة مسلمة متعربة .

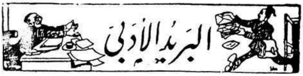
وقد لاحظت كثيراً من الكلمات العربية فى خلال حديث السيد خليق الزمان ، ويقال إن اللغة الأردية تحتوى من الكلمات العربية ما يقدر بنحو خمسة وستين فى المائة من مجموع ألفاظها ، ولذلك لم يجد الباكستانيون الذين أقبلوا على تعلم العربية صعوبة فيها ، وقد تقرر تعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم ابتداء من السنة الأولى الثانوية . وهناك « الجمعية العربية العامة » التى يرعاها وزير المعارف ويرأسها شيخ الإسلام ، ولهذه الجمعية سنة طريفة فى الحث على التخاطب باللغة العربية ، فهى تفرض على من يتحدث فى دارها أن يدفع عن كل لفظة غير عربية ما يعادل خمسة مليمات مصرية . .

وقد جرى حديث بينى وبين باكستانى كبير فى موضوع نشر اللغة العربية فى الباكستان ، قلت له : لماذا لاتكثرون من بعثات الطلاب إلى مصر ، ليتعلموا فى معاهدها باللغة العربية ، ويكتسبون القدرة على هذه اللغة من البيئة المصرية ؟ وجهت هذا السؤال وأنا غافل عن خرق واسع فيه . . قال : إن طلابنا الموجودين فى مصر يشكون من اللغة العامية التى تتحدثون بها لا فى الأسواق فحسب ، بل كذلك فى دور التعليم ومجالس المتعلمين فكيف يكتسبون القدرة على الحديث بالعربية من هذه البيئة ؟

سمعت ذلك فلم أستطع إلا أن أهز رأسى آسفاً على هذه الحال وذكرت ما وقع لأحد المستشرقين ، وقد جاء إلى مصر لأول مرة بعد أن درس اللغة العربية فى بلده هو وزوجته حتى أصبحا يتخاطبان بها ، فلما نزل بأحد الفنادق بالقاهرة وجاءه الخادم ، قال له : أريد طعاماً . فانصرف الخادم ثم عاد يحمل إليه (طعمية) فقال له : ماهذا ..؟ أريد شواء . قال خادم الفندق : (مش قلت إنك عاوز طعمية !) فبهت الرجل .. وكتب إلى زوجته يقول : لقد نزلت بالقاهرة زعيمة العواصم العربية ، فلم أجد بها من يتحدث باللغة العربية غير زوجك العزيز !

والعجيب أو المخجل أن كثيراً من « المثقفين » المصريين الذين يجتمعون بهؤلاء الأجانب المتعربين ، لايبادلونهم الخطاب بالعربية ، بل يحدثونهم بالعامية فلا يكادون يفهمون منهم شيئاً ، ويتضايقون من المجالس ، مجالس المتعلمين ، التى يدور فيها الحديث بالعامية .

وأعود إلى الموضوع ، فأقول مع ذلك : إن تفشى عاميتنا فى



بواسل من لحن القول :

١ — حمل إلينا بريد الرسالة الأدبي في العدد (٨٤٥) كلاماً للأستاذ الفاضل السيد أحمد صقر فيه سب وسخط على المقبين اللغويين ، ورد ما كتبناه في العدد (٨٤٣) نخطىء فيه استعمالهم بواسل صفة لجمع مذكر عاقل ، وتواً بمعنى الساعة أو حالاً ، وذكر أن بواسل مسموعة عن العرب الخلص منذ الجاهلية الأولى ، وأورد شاهدين لذلك ، الأول ؛ قول باعث بن صريم اليشكرى من شعراء الحماسة يذكر يوم الحاجر :

وكتيبةٍ سُفع الوجوه (بواسل)   كالأسد حين تذب عن أشبالها

والثاني قوله :

فلا توعـــدونا بالحروب فإننـــا   لدى الحرب أسد خادرات (بواسل)

وذلك فيه وهم كبير ، إذ المعروف عند النحويين أن فواعل جمع لفاعلة — غير شواذ معدودة — فبواسل جمع لباسلة في هذين الشاهدين ، ففي الأول يصف الشاعر كتيبة وفي الثاني يصف أسداً خادرات ، فماذا بقي إذن في شاهدى الأستاذ ؟ ونحن قد قلنا إن بواسل خطأ حينما تكون وصفاً لجمع مذكر عاقل .

الحديث العادى لا ينبغى أن يحول دون الإكثار من البعثات الباكستانية ، فنحن نعمل على التقريب بين العامية والفصحى بالتعليم ووسائل النشر المختلفة ، وليس من بأس ولا كبير عناء في أن يأخذوا بالضرورى من العامية ، وهي قريبة من الفصحى كما أنها تتشابه في البلاد العربية المختلفة التي تتجه الباكستان نحو مودتها ، وهم مع ذلك لن يعدموا مواطن الفصحى وأدواتها في مصر .

عباس خضر

التو بمعنى الساعة خطأ :

٢ — وأما تصويبه قولهم ذهب توا ، وإيراده نصين من الفائق والقاموس ، فقد عجبت له لأنى قد خصلت ما أورده في كلمتى القصيرة «التو بمعنى الفرد ، فذهب تواً أى فرداً أولم يلوه شيء والصواب توه» هذا هوما في المعاجم بمعناه لابلفظه ، فإن المعاجم كلها ذكرت مكان لم يلوه ، لم يعرجه ، وفي المعاجم كلها أن التو بهاء الساعة — وقد أورد الأستاذ ذلك وغفل عنه — وكنا قد قصرنا الخطأ على التو بمعنى الساعة ، ومما يزيد هـذا الخطأ إيضاحاً قولهم أيضاً ذهب فى التو واللحظه فيجعلون التو مرادفا للساعة وذلك خطأ أجمت عليه كتب اللغة .

(المنصورة)   عبد الجليل السيد حسنه

خطيئة داود :

طالعت في كتاب (صور من العشق) للأستاذ كمال منصور قصة «خطيئة داود» فطالعت فرية على نبي من الأنبياء وهو داود عليه السلام فقد اختلف العلماء والمفسرون في قصته التي ترتب عليها ما ترتب فقيل إنه عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أوريا من مؤمنى قومه — وفي بعض الآثار أنه وزيره — فمال قلبه إليها فسأله أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل وتزوجها وهي أم سليمان وكان ذلك جائزاً في شريعته مألوفاً فيما بين أمته إذ كان يسأل أحدهم الآخر أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها وقد كان الرجل من الأنصار في صدر الإسلام إذا كانت له زوجتان نزل عن إحداهما لمن اتخذه أخاً له من المهاجرين لكنه عليه السلام لعظم منزلته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلا ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه ، بل كان يجب عليه أن يغالب ميله الطبيعى ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به .

هذا ما ذكر عن قصته في أضعف وجوهها وهي القصة التي

أخذها الأستاذ كمال منصور فى كتابه . غير أنه جعل النبى داود يزنى وتحمل هذه المرأة من سفاح ويقتل زوجها و . . و . . مما لا يليق ببشر عادى ؛ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شىء منها ضرورة إنا لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم يوثق بشىء مما يذكرون .

عزت حماد منصور

دم الكبش ودواء الكلب :

قرأت لأديب – فاتنى اسمه – كلمة يقول فيها « .. وكان المرضى فى الجاهلية الأولى يتداوون بدم « الكبش » فى شفائهم من داء « الكلب » ... الخ » !

قلت : الأديب – ولعله من طلاب الطب البيطرى – اختلط عليه الطريق ، وفهم ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

و « الكبش » فى لغة العرب بمعنى « السيد أو الرئيس » وفلان « كبش القوم » أى « سيدهم ورئيسهم » المطاع ... وسيد القوم خادمهم (١) . قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت « كبشهم » (٢) ولم أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب فى الجاهلية الأولى كانوا يعتقدون بدم الرئيس (الكبش) لمكانه منهم ، وإمرته عليهم ، وإنه يشفى من داء « الكلب » . وفى ذلك يقول شاعرهم :

بناة مكارم وأساة جرح دماؤهم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب !

ولست أدرى – والحق يقال – فضل دم الرئيس على دم المرؤوس فى شفاء « الكلب » إن كان ثمَّ شفاء !

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر ، فإنى أذكر أن العرب كان

(١) قال حاتم :

إذا مات منهم « سيد » قام بعده نظير له يغنى غناه ويخلف

(٢) أى سيدهم ورئيسهم

من عاداتهم الفاشية إلى يومنا هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف واستكرهوا رجعته كسروا فى إثره شيئاً من الأوانى والقدور .

وفى ذلك يقول قائلهم :

كسرنا القدر بعد أبى سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا !

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان فى إثر ضيفنا ولكننا نكفيه زاداً ليرجعا

وبعد : فمعتقدات القوم فى الجاهلية الأولى جلها أباطيل ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

(الزيتون) عدنان

١ – إلى الأستاذ أنور المعداوى :

أقدم تحيتى وأرجىء الإفصاح عن إعجابى وبعد ، أردت النظر فى ميثاق جامعة الأمم العربية وفى ميثاق هيئة الأمم ، وقراءة بعض ما كتب من تعليق عليهما فتوجهت بطبيعة الحال إلى مكتبة الأسكندرية .

فهل وجدت من ذلك شيئاً ؟! كلا !!

بل خرجت منها وأنا أتساءل فيما بينى وبين نفسى : أيتجشم الإنسان مشقة الانتقال وضياع الوقت فى الذهاب إلى المكتبة العامة ليقرأ رواية « اللص الظريف » أو « المرأة النادرة » ؟ وأين إذن أستطيع قراءة الوثائق والكتب العلمية إن لم أجدها فى المكتبة العامة ؟ ولم أطلب شيئاً عسيراً بل شيئاً مشهوراً لا تخلو من الحديث عنه صفحات الجرائد كل يوم .

ثم دعانى داعى الإنصاف إلى الاعتذار عن المكتبة بعدم ظهور كتب تتناول نشر الميثاقين أو الحديث عن الهيئتين .

وأردت التأكد بنفسى فما هى إلا جولة حتى خرجت من عند بائع الكتب وأنا أتأبط كتابين ولشدة حاجتى للالمام بالموضوع دفعت فيهما ما يقرب من جنيهين .

وتساءلت مرة أخرى : ألا يتمكن الفرد من معرفة ما يعرض له أثناء البحث – على كثرة ما يعرض له – إلا إذا كان يملك

الوسيلة إلى الشراء ! وإذا كان الأمر كذلك فإلى أى حد تتحمل مالية الإنسان مهما عظمت تكاليف الكتب مع تمددها وارتفاع أسعارها ؟!

لقد كانت مكتبة الأسكندرية — يرحمها الله — موجودة حقاً منذ ألفى عام حين كانت تقدم الزاد الدسم فيعجز عن هضمه العلماء الكبار ؛ أما الآن فقد أصبح كل ما فيها من زاد لا يكاد يقيم أود الصغار .

وذكرنى ذلك بالموقف الذى قاساه من قبل الأستاذ عباس خضر « فى قاعة المطالعة بدار الكتب (١) » وعدت لأقرأ من جديد ما كتب ولأجد فيه بعض العزاء .

والآن يطيب لى أن يثار هذا الموضوع مرة أخرى . إن عشرات الكتب العلمية تغمر السوق كل يوم ، وكلها مما يحتاج الباحث إلى الإلمام بها أو ببعضها .

وإذا كانت وزارة المعارف — سامحها الله — قد ألجأتنا بافتقار مكتباتها المدرسية — إلى المكاتب العامة فلا أقل من أن نجد لدى الأخيرة بغيتنا ، وإلا فنحن نزود الراسخين عن الإطلاع ونزود المبتدئين بالحجة التى تدفع عنهم لوم اللائمين ثم لتسلكهم بعد حين فى عداد الجاهلين .

حقاً إنه لموضوع يستحق من قلم صاحب التعقيب تعقيباً يكون له عند المسئولين صداه . وعسى أن تستأنف المكاتب العامة سيرها فى ركب الحياة .

٢ — حول مسئولية الاحتلال :

« سألنى بعض حضرات القراء عن المرجع الذى اقتبست عنه بعض الفقرات التى استشهدت بها لتأييد الرأى الذى ذهبت إليه فى تحديد مسئولية الاحتلال الانجليزى لمصر بالمقال المنشور بالرسالة عدد ٨٥٠ .

ويسرنى أن أشير إلى أنه كتاب المسألة التونسية وموقف الدول العظمى منها للدكتور محمد مصطفى صفوت أستاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق الأول . وأن التنويه بذكره قد سقط أثناء الطباعة سهواً » .

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية

(١) الرسالة : العدد ٨٣٦ السنة السابعة عشرة ص ٢٠٠٢ .

الكتب

أبو العتاهية

تأليف الأستاذ محمد احمد برانق

للأستاذ كامل محمود حبيب

المدرس رجل نال حظاً كبيراً من الأدب والعلم، وأصاب قسطاً وافراً من أصالة الرأي وصفاء الذهن، وجمع بين الثقافة العالية والتفكير الرصين؛ فهو أجدر الناس بأن يخوض معمعة النشاط الأدبي والعلمي، فعنده الاستعداد وبين يديه الأداة. ولكن الإنسان ليعجب أشد العجب أن يرى المدرس أقل الناس إنتاجاً وأبعدهم عن معترك التأليف وأقصاهم عن مجال البحث. فماذا، يا ترى، زهده في هذه اللذة الفكرية وإن فيها لحياة للقلب وشحذاً للذهن وصقلاً للعقل؟ أما أنا فلا أرى ما يدفعه عن ميدان الفكر إلا ما يعاني من عنت شديد في العمل وما يقاسي من إرهاق عنيف في المدرسة، فهو لا يكاد يخلص من الدرس إلا ليندسّ بين أكوام من الكراسات تستحثه وترهقه وتشغل باله وتقتل وقته. وهكذا يبدد عمره في إعداد الدرس ويفني عقله في تصحيح الكراسات، ثم لا ينفلت من هذا كله إلا ليلقي بنفسه في خضم الدروس الخاصة وما به لهفة إليها، أو إلى مضطرب التأليف المدرسي وما به رغبة إلية. ولكنها حاجات العيش ودوافع الحياة وطلبات الدار والولد تقذف به في غير هوادة ولا لين إلى إلى هذا السبيل علّه يجد القوت الكريم واللباس الشريف والمسكن اللائق. ولشد ما يدهش المرء حين يرى جيشاً لجباً من المدرسين المثقفين — يربو على سبعة آلاف — فلا يرى فيهم من يحن إلى البحث العلمي أو من يصبو إلى التأليف الأدبي، اللهم إلا فئة قليلة لا تتجاوز العشرة! فالمدرس — إذن — رجل يموج بين الإرهاق والإملاق، فإن عكف على الحياة العقلية أو حمل نفسه على الناحية الأدبية أخرج للناس شيئاً فيه روح نفسه المضطربة وفيه سمات حياته المزعزعة.

وأشهد أن صاحب كتاب «أبو العتاهية» رجل من الفئة القليلة، صبر على الجهد ورضي بالمشقة ليخرج بحثاً أدبياً فيه الاستقصاء والجهد والاستنتاج.

لم يكن أبو العتاهية شاعراً يتحدث عن خلجات قلبه ولا مفكراً ينطق بعقله، وأنى له أن يفعل وهو «رجل فقير نشأ في بيت متواضع وصنع الجرار مع أبيه، فإذا نضجت الجرار حملها أبو المتاهية، أو حملها أكّار معه على ظهره، وسار بين الحواري والأزقة في مدينة الكوفة يبيع جراره ويساوم في ثمنها، فإذا ألهبت الشمس قفاه ومسّ حر التراب أخمص قدميه وبلغ منه التعب مبلغه — ألجأه ما به إلى ظل حائط، فيحط حمله، ويجلس مسنداً إلى الحائط ظهره، برماً بالدنيا متسخطاً عليها فيلتف حوله الصبيان يعبثون به ويعبث بهم ويتبسط معهم في الحديث ...»

فهو لم يكن ذا علم وثقافة، ولم يكن ذا عقل وحصافة، فعاش حتى آخر أيامه فجاً لم تستكمل أداته ولا بلغ ذروة الشعر ولا جارى شعراء عصره — عصر الإبداع والازدهار — فتخلف عن الركب وانبهرت أنفاسه ولكنه اتخذ إلى الشهرة سبيلا هيناً سهلا، فانحط على كبير من بني معن يقذع له في القول ويفحش في الهجاء، في غير ذنب ولا جريرة ولكن الشاعر — في رأيي — كان يحس في قرارة نفسه ضعة الشأن وحقارة المنبت وصعوبة المرتقى فتأرّث قلبه غيظاً وحقداً، فوجد في الهجاء متنفساً يطفئ شرّة غيظه، ووجد في هجاء عبد الله بن معن — وهو رجل عظيم من بيت كبير — طريقاً يعلو به إلى سماء الشهرة في سهولة ويسر. والهجاء فن من الشعر لا يحتاج إلى كياسة ولا يتطلب لباقة. وهكذا طار صيت الشاعر في الكوفة — أول الأمر — وامتد أفقه حين ضربه عبدالله بن معن مائة سوط جزاء ما أفحش في القول.

وفي رأي العقل أن شاعرنا كان يتصنع في كل شيء: في الهجاء وفي الغزل وفي التصوف جميعاً. يتصنع الهجاء وما به مقت ويتصنع الغزل وما به هوى ويتصنع التصوف وما به زهد.

فهو حين شبب بجارية المهدي (عتبة) كان — في رأيي — لا يبتغي من ورائها إلا أن تكون وسيلة إلى بيت الخلافة، يرتفع بها شأنه ويزكو مكانه، على حين لم تكن به لوعة ولا كان به شوق. وإن القارئ ليعجب حين يعجزه أن يجد في نسيبه بيتاً واحداً

يتبض بعاطفة جياشة أو سطراً يخفق بحب عميق . وليس أدل على ما أزعم من قوله فى عتبه وهى من أحب وتدله فى حبها واصطفاها بشعره وخصها — وحدها — بقلبه .

وقد أتعب الله نفسى بها وأتعب باللوم عـــذالها

فتعبير الشاعر عن نوازع قلبه بكلمة (أتعب) تعبير تافه لا ينطوى على شاعرية ولا سمو . فالكلمة مضطربة قلقة ، ثقيلة النطق وضيعة المعنى لا تتحدث عن صبابة وهوى ولا تكشف عن لوعة الحنين ولا تهتز بلذعة الشوق . وفيها — فوق ذلك — معانى الضيق والملل .

ومما يدل على أنه كان فى غزله عابثاً لا يعبأ بمن أحب ما جاء فى ص ٩٣ من الكتاب حين أنساه كلبه للمال ذكر عتبة فتقول « لو كان عاشقاً — كما يزعم — لم يكن يختلف منذ حول فى التمييز بين الدراهم والدنانير وقد عرض عن ذكرى صفحاً » .

لقد اشتهر أبو العتاهية بين العامة بالزهد والتقشف ، أما أنا فحين أتحدث عن زهده فلا معدى لى عن أن أستنير برأى الحديث الشريف الذى يقول « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم أبداً ، ولا يجتمع شح وإيمان فى قلب رجل مسلم أبداً » .

وينقل المؤلف فى ص ٥١ سطر ١٣ خبراً يدل على أن أبا نواس كان يجل أبا العتاهية ويعظمه لزهده وتقشفه ، فلما سأله سائل « لم أجللته هذا الإجلال ؟ » قال « ويحك ! لا تنفل ، فو الله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى » . وهذا كلام عجيب إخاله لا يصدر عن شاعر عبقرى فذ مثل أبى نواس تتألق روحه بومضات سماوية تزرى بكل ما نظم أبو العتاهية فى الزهد . ثم يحس المؤلف كذب الحديث فيقول فى ص ٥٢ سطر ٤ « وأنا من الذين يرجحون أن زهد أبى العتاهية زهد مفتعل لا يعبر عما فى نفسه ولا يصور دخيلتها ولم يطرق فيه إلا المعانى العامة التى يتحدث الناس بها ، وإلا فما بال رجل هذا شعره يحرص على المال كل الحرص ويسلك مختلف المسالك لجمعه . »

هذا ولقد رأيت فى الكتاب أثر الجهد والصبر وطول البحث والاستقراء مما يدفعنى إلى أن أقدر مجهود الأستاذ المؤلف حق قدره وأشكره على أن أخرج لنا صورة حية ناطقة من شاعر لا يعرف أكثر الناس عنه إلا شذرات لا تغنى ولا تسمن .

كامل محمود حبيب

أعلام من الشرق والغرب

تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

بقلم الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من واجب كل أمة تريد أن تستكمل نهضتها ، وترفع من شأنها ، أن تعرف ماضيها حق المعرفة . فليست القومية الوطنية إلا التاريخ المتجدد مع الزمان . ولست أدرى كيف نريد أن نعتز بمصريتنا دون أن نعرف دقائق تاريخنا . وقد شاءت إرادة المستعمر أن يسدل بيننا وبين تاريخنا ستاراً كثيفاً من النسيان يحجبنا عنه حتى لا نتعلق بأذيال الوطنية ولا نطالب بالتخلص من نير الاستعمار فلم يكن يسمح بدراسة التاريخ القومى إلا بمقدار. حتى إذا قامت مصر قومة ظهر كثير من المفكرين والكتاب يحاولون تدوين ذلك التاريخ القومى الذى يصل بيننا وبين ماضينا سواء فى ذلك الماضى البعيد أو القريب . وأرخ لهذا الماضى القريب الراقص فى الحركة القومية ولكنه عنى قبل كل شىء بالجانب السياسى ولو أنه لم يغفل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأدبية حتى لقد أفرد فى كتابه فصولاً قصاراً ترجم فيها لبعض أعلام مصر الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى من البارزين فى سماء النهضة المصرية .

ويحتاج التحقيق التام للحركة الأدبية فى القرن التاسع عشر إلى مجهودات كثيرة ينقطع فيها الباحثون إلى التأريخ لرجال الفكر والأدب فى القرن الماضى .

وقد دفعت وطنية صديقنا الأستاذ محمد عبد الغنى حسن الشاعر الأديب إلى رسم صور محققة عن بعض أعلامنا يجد الباحث عنهم العناء الشديد فى التعرف إليهم . فنفض عنهم غبار النسيان وجلا للقراء صفحة مطوية من تاريخ مصر الحديث .

فهو يحدثنا عن مصطفى مختار بك أول وزير للمعارف المصرية الذى أرسله محمد على باشا مع البعثة المصرية إلى فرنسا ، وهى تلك البعثة التى كان رفاعة الطهطاوى إماماً لها .

ويحدثنا بعد ذلك عن شاعر الخديو الأول الشيخ محمد

شهاب الدين وهو كما يحدثنا صاحب هذا الكتاب « الشاعر الرسمي لمصر الحديثة . ولم يكن هذا الشيخ ربيب الأزهر وإنما كان وزاناً صغيراً في أسواق البيع والشراء . وكأن الوزن المادي في الأسواق النافقة والكاسدة كان تمهيداً للوزن المعنوي في سوق القريض والقصيد فقد أصبح هذا الوزان شاعراً رسمياً للخديوي يزن القصيد ويتغنى الناس بشعره .

على أن شعر الشيخ لم يكن جيداً وقد قدم الكاتب نموذجاً لشعره وحلله إلى أن انتهى بهذا الحكم الصادق وهو « أننا نكلف رجال ذلك العصر شططا إذا طلبنا منهم أن يكونوا أجود مما وصلوا إلينا فقد كونتهم بيئتهم ثم مهدوا السبيل بعد ذلك للبارودي الذي اجتمعت له ولعصره أسباب الأحياء في الشعر العربي » .

ويحدثنا بعد ذلك عن عالم طريف مغمور هو الشيخ محمد عياد الطنطاوي الذي سافر من مصر إلى بتروجراد عاصمة روسيا يعلم اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية فكان له أثر كبير في المستشرقين من الروس . ولقد لقي الكاتب عناء شديداً في الترجمة لهذا الشيخ فأخذ يجمع سطراً من هنا وإشارة من هناك ويتصل اتصالاً شخصياً بمن يظن فيه شبهة معرفة بتاريخ ذلك الرجل حتى أخبره البروفسور بولوتسكي بالجامعة العبرية أن للشيخ مؤلفاً بعنوان تحفة الأذكيا بأخبار بلاد روسيا ، وأن الكتاب مخطوط يوجد منه نسخة في اسطنبول . ولا ريب في أن مثل هذا الكتاب طريف فريد في بابه فضلا عن قيمته التاريخية الكبيرة ، فهو يصور الحياة في روسيا في منتصف القرن التاسع عشر بقلم مصري أزهري . فهل نطمع في قيام أحد علمائنا باجتلاب هذا المخطوط وطبعه ؟

وينتقل بنا الأستاذ عبد الغني بعد ذلك إلى الحديث عن شاعر مصري ، وقف شعره على أشراف الحجاز يسمى محمود صفوت الساعاتي ، سافر للحج فاتصل بالشريف محمد بن عون أمير مكة فقربه إليه وصحبه في حروبه مع أمراء نجد ، فصور الساعاتي هذه الحروب شعراً يذكرنا كما يقول عبد الغني بشعر المعارك عند المتنبي في القديم وعند البارودي في الحديث . وذلك مثل قوله في مدح الشريف ابن عون :

إذا تألق برق السيف في يده
أبصرت غيث دم الأبطال منسفحا

مقوم كل معوج بصارمه فكل خصم لهذا صار منطرحاً

وقد طاف الساعاتي بكثير من أغراض الشعر فدح وطلب وعتب ورثى ، فلم يخرج في ذلك عن مألوف القدماء .

وكنا نود أن يحدثنا الأستاذ عبد الغني عن الشاعر السيد علي الدرويش بعد أن حدثنا عن شهاب الدين مباشرة لأنهما من الذين اختصهما عباس الأول بمجلسه حتى كان كل منهما يلقب بشاعر عباس الأول . وقد ترجم له ترجمة جيدة درس فيها شعره محللا أغراضه وبين الخصومة التي كان لابد أن تقع بينه وبين شهاب الدين حتى بلغ من هجاء الدرويش لخصمه أن يقول له في قصيدة يهجوه فيها :

عاش دهراً وجهله في ازدياد ليته بعد لم يكن ليعيشا .

وينقلنا المؤلف بعد ذلك إلى الحديث عن علم من أعلام الأدب في مصر الحديثة كان له أثر عظيم وفضل كبير على نهضة الأدب في مصر هو الشيخ حسين المرصفي الذي ظل يدرس في الأزهر إلى أن كانت نظارة علي مبارك فعهد إليه بالتدريس في دار العلوم وكان يحضر عليه كثير من أعلام العصر منهم علي مبارك نفسه . وقد اختط في تدريس الأدب العربي والبلاغة منهجاً جديداً ظهر في كتابه المسمى بالوسيلة الأدبية قد وصفه علي مبارك برقة المزاج وحدة الذهن وشدة الحذق .

ونجد علماً آخر مجهولاً ولكنه أثر في الحياة الأدبية عن طريق الصحافة هو حسن حسني الطوبراني باشا والذي دعا المؤلف أن يترجم له هو سؤال سائل في مجلة الرسالة أن يتفضل أحد الأدباء برواية قصة الشاعر المغمور . فافتتح الأستاذ عبد الغني ترجمته بعجبه أن ينسى أديب عربي مشهور وصحافي ذائع الصيت ، وشاعر قوي العبارة ، ولما يمض على وفاته نصف قرن كامل ؛ فكيف إذا خب المطي به عشرات القرون ؟

ولد الطوبراني في مصر ولكنه ترك تنقل من بلد إلى بلد حتى قال عن نفسه :

شرق النسر وغرب وتترك وتعرب
ولئن أطرى وأطرب فهو نصاح مجرب
وهو إن أعرب أغرب وهو إن أعجم أعرب

وحرر في صحف تركية وأخرى عربية كانت تصدر في القسطنطينية وكانت تغلب عليه الروح الإسلامية ونزعة الإصلاح وله ديوان شعر ولكنه غير جيد . وقد درسه المؤلف دراسة مستفيضة فتكلم

عن أغراضه وعن أسلوبه وعن مآخذ عابها في شعره .

ثم نجد فصلاً طريفاً يحدثنا فيه عبد الغنى عن شوقى وحافظ بين الكتب وهو فصل طريف لأننا على وثوق معرفتنا بشوقى وقراءتنا لديوانه وتمثيلياته وقصصه نجهل عنه بعض تآليفه مما أخرجه فى صدر شبابه ؛ فأسدل عليه ستار النسيان فقد كتب شوقى رواية ظهرت فى ١٨٩٧ تسمى عذراء الهند ترجع حوادثها إلى زمن رمسيس الثانى وهى أول محاولة لشوقى فى معالجة الفن الـروائى ولكنها لم تنجح . وظهرت له بعد عامين رواية نشرتها بمجلة الموسوعات تسمى لادياس قصد منها شوقى أن يصور حالة مصر بعد عهد ابسماتيك الثانى ، وقد كتبها نثراً ولكنه نثر مطبوع بطابع العصر يمتاز بتكلف السجع وفيها يقول : « وكانت لادياس فتنة الناس ، بالبدر الطالع فى الغصن المياس ... » ولقد تحرر شوقى من السجع بعد ذلك كما نرى فى رواية أميرة الأندلس .

ولشوقى رواية ثالثة هى ورقة الآس .

ولا أحب أن أمضى فى هذا التلخيص إلى نهاية الكتاب خشية الإطالة ، فنحن نجد بعد ذلك ترجمة دقيقة للشيخ محمد شاكر الذى كان وكيلاً للأزهر فى مطلع القرن العشرين وهو والد صديقنا الشيخ أحمد شاكر الذى ينشر الآن مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ويحدثنا عن أدباء عرفناهم واتصلنا بهم مثل اسماعيل أدهم ونخرى أبو السعود ، وإسعاف النشاشيبى ، وأنطون الجيل .

فأنت ترى أن الكتاب قد جمع أعلاماً مختلفين اختلافاً شديداً ولكن تربطهم رابطة قوية هى رابطة الأدب فى مصر الحديثة .

ويبدو أن نصيب الشعراء أوفر ولا غرو فصاحب الكتاب شاعر تستجيب نفسه إلى الشعراء فتجمعه وأياهم صلة الصناعة ، ولذلك كانت دراسته لهؤلاء الشعراء دراسة الحاذق البصير والناقد القدير .

وقد لفتنى ما ذكره عن شوقى من أن نثره يكاد يكون شعراً ففيها هـذه الموسيقى التى تطرب لها الآذان ولذلك حاول أن يرد بعض نثره إلى الأوزان الشعرية مثل قوله فى الوطن .

ومراد الرزق ومطلبه وطريق المجد ومركبه

فهو بيت من بحر المتدارك فقلت فى بالى : وأنا أقرأ أسلوب عبد الغنى وأحسن فيه بهذه الموسيقى التى ترتاح إليها النفس أن ذلك أثر من آثار صناعة الشعر وذلك فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده .

أحمد فؤاد الأهوانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطبعة الرسالة